خلف جدار الصمت

د.محمد عبدالسلام

اسم الكتاب: خلف جدار الصمت

اسم الكاتب: د/ محمد عبدالسلام

تصميم غلاف: عبدالله عباس

رقم الإيداع: 2024-3393

الترقيم الدولى: 978-977-87127-9-7

كافة الحقوق محفوظة للناشر والمؤلف

لا يُسمح بإعادة طبع أو توزيع أي جزء بأي طريقة، بما يشمل ذلك التصوير أو الطباعة أو التسجيل الصوتي أو أي وسيلة أخرى إلكترونية أو غير إلكترونية، دون إذن كتابي مسبق من الناشر، ويسمح فقط في حال الاستعانة ببعض الفقرات لغرض النقد والدراسة، طبقًا لما تحدده قوانين واتفاقات حقوق الملكية الفكرية.

خلف جدار الصمت

د.محمد عبدالسلام

المقدمة

الحمد لله الذي أشاع الجمال وأبدعه، وصور الإنسان وركبه والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى رمز الجمال المجتبى.

في سطور هذا الكتاب نتحدث عن سر من أسرار الحب وكيف أنه أمر عظيم له عجائبه التي لا نهاية لها، وأخذنا مثالا لذلك تلك القصة التي جمعت بين شاب في بداية حياته العملية وفتاة جامعية في مقتبل العمر بترتيب عجيب وبطريقة مدهشة جعلت كل منهما ينسى كل همومه وآلامه السابقة وكأنها لم تكن، ولم يعد العقل لديهما يستوعب أنهما لم يعرفا بعضهما إلا الآن، حيث رتب كل منهما أحداثه الماضية وتاريخه كله بوجود حبيبه معه في تلك الأحداث وأنه كان ركناً أصيلاً، فيها، ولم يشغلهما بعد ذلك سوى الحب وآهاته ولوعته وأناته وثماره عليهما وآثاره العظيمة كما انفجرت من داخلهما براكين المشاعر المكبوتة لسنوات طويلة خلف جدار صمتهما والتي كانت لا تقوي علي الخروج من وراء ذلك الجدار إلا بوجود قوة كبيرة تعبر بهما هذا الجدار العالي، ولاقى كل منهما فترة طويلة من الاكتئاب والعزلة والوحدة إلى أن ظهرت نافذة للحب نظر كل منهما إلى بارقة الأمل وطاقة النور التي طلت منها عليهما فكانت حجر الزاوية ونقطة التحول الكبيرة في حياة كل منهما لدرجة أذهلت الجميع من حولهما، وأصبح كل منهما قوياً نشيطاً مفعماً بالحيوية وحب الخير ونشره والتصافي مع الكون كله بأجناسه المختلفة من

إنسان وحيوان ونبات وجماد، وغاص كل منهما في بحر هوى حبيبه الواسع وأنهار مشاعره الرقيقة الدافئة، وتحول قلب كل منهما إلى قلب عاشق ولهان، كما استشفا من ذلك الحب الذي جمع بين قلبيهما أن هناك أمورا جساما وحباً أكبر وتعلموا فلسفة أعمق لهذا الحب الصادق، وفهما أن لهذا الحب ثمار حقيقية بعد أن ذاقا طعم وحلاوة تلك الثمار وتعرفا علي أنواره وأسراره الظاهرة والخفية والتي أصبحت تملء المكان بهجة وسرورا ومحبة ووئاما وأحاسيس مرهفة وعواطف جياشة،

هيا بنا نتعرف معهما علي تلك القصة العجيبة من خلال تلك السطور.

المؤلف

د محمد عبد السلام

ترجمة المؤلف

ولد محمد عبد السلام سلامة فرج في قرية قصاصين الأزهار، إحدى قرى محافظة الشرقية لأبويين مصريين، ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين سبط النبي صلي الله عليه وسلم.

كان والده عارفا بالله مشهودا له بالصلاح والتقوي والورع وحب الصالحين، وكان دائما في خدمة أبناء بلدته، ولا يتأخر عن مساعدة أحد.

وكان جده سلامة (العارف بالله) عمدة لإحدي القرى بمحافظة الشرقية، وكان محبا لآل البيت وأولياء الله الصالحين.

سافر محمد عبد السلام في سن صغيرة في المرحلة الابتدائية إلى مدينة الزقازيق بالشرقية مع الأسرة، والتحق بالمعهد الازهري بها، وأنهاها بتفوق ثم التحق بمعهد الزقازيق الديني العسكري الإعدادي والثانوي، وهو ثان أكبر معهد في مصر، والذي تخرج منه الشيخ الشعراوي رحمه الله وغيره من علماء الأزهر الشريف، وأنهي محمد عبد السلام المرحلتين بتفوق كبير، والتحق بعد الثانوية بكلية الطب البشري (طب الأزهر بنين بالقاهرة) وبعد سنة الامتياز كُلف بالخدمة الأساسية بمحافظة قنا بنجع حمادي، ثم التحق بالقوات المسلحة لأداء فترة التجنيد، ثم أنهي الدراسات العليا في تخصص الجراحة العامة والدراسات العليا في إدارة المستشفيات، وهو عضو جمعية الجراحين المصرية، والتحق بأكاديمية الإمام الرائد بالقاهرة لدراسة العلوم الإسلامية وعلوم التصوف لمدة خمس سنوات. ثم

تدرج بالوظائف الإدارية من مدير طوارئ إلى نائب مدير إلى رئيس هيئة طبية (كبير أطباء) ثم رئيس أقسام الجراحة بإحدى مستشفيات وزارة الصحة بالقاهرة. .....

خلف جدار الصمت

في الساعة الخامسة مساءاً رن جرس التليفون في شقة ميرا في إحدى شوارع القاهرة عام ١٩٩٠م وهمت ميرا ورفعت سماعة التلفيون فإذا برجل يسألها

من فضلك هل هذه صيدلية د. سيليا؟ *

ميرا:

معذرة ليست هي.

قال:

أنا أسف مدام.

ميرا:

آنسة من فضلك.

قال:

أسف مرة أخرى لم أكن أعلم معذرة.

***- سيليا: تعني الجنة ويقصد بها الأرض الخضراء ذات المساحة الواسعة والتي تحتوي علي الكثير من النعم.**

ميرا:

من فضلك كن حريصا بعد ذلك.

قال:

حاضر يا آنسة.

ميرا:

علي العموم شكراً عمي.

قال:

أنا لست كبيراً في السن لهذه الدرجة.

ميرا:

لم أكن أعلم أنا أيضا فهل أحسست الآن نفس إحساسي.

قال:

إذن هذه بتلك معذرة مرة أخري.

ميرا:

أنتَ الذي بدأت أليس كذلك؟

قال:

انا لم أقصد أبداً هذا المعنى الذي وصل إليكِ، ويبدوا أنني قد تسببتُ في إزعاج لك بأسلوبي هذا الغير لائق.

ميرا:

إلي حد ما حدث ذلك منكَ.

قال:

معذرة فإن ما دفعني لذلك أن صوتِك يبدو جادا وقوراً وصارماً.

ميرا:

ماذا تقصد بهذه التعبيرات لقد أخطأتَ مرة أخرى في تعبيرك.

قال:

مهلاً يا آنسة أنا حقاً لم أقصد أي شيء من هذا المعني مطلقاً، ولم يخطر ببالي ما أسمعه منك وإن كان وصل إليك غير ما أقصد فعذراً، ويبدو لي أنني لا أجيد اختيار ألفاظي في مثل هذه المواقف فاقبلي أسفي.

ميرا:

إذن فماذا قصدتَ بقولك جادة وقورة وصارمة؟

قال:

هي كلمات أظنها للمدح والثناء والتقدير لشخصك، ولم أقصد بها أي شيء آخر مما وصل إليك منها.

ميرا:

أنا لم أفهم من كلامك هذا الثناء، حيث أن سياق الحديث الذي دار لا يعطي هذا المعني الذي تعنيه.

قال:

أكرر أسفي يا آنسة.

ميرا:

لا بأس فقد وضعت نفسك في موقف محرج، في حين لو كنتَ أعطيت لنفسك مهلة تفكر فيها فيما تقول لما حدث ذلك.

قال:

إن لي ظروف خاصة، وطباع مختلفة بعض الشيء عن أغلب الناس في السنوات الأخيرة الماضية من حياتي.

ميرا: أي طباع وأي ظروف تقصد؟

قال:

لقد حدثت لي ظروف عائلية جعلتني أميل إلى العزلة الشديدة والبُعد التام عن الناس، لدرجة أنهم يقولون بأنني (بيتوتي) وانطوائي، وغير ذلك من تلك الكلمات، وهذا ما حدث بالفعل فقد أصبحتُ أعشق الجلوس بمفردي في البيت لفترات طويلة، ولا أُحب الخروج بين الناس وسط الزحام، ولذلك لم أجيد الحديث معكن أو مع غيركن بالطريقة الصحيحة.

ميرا:

مع من تقصد؟

قال:

أخشي أن أقع في خطأ آخر لو قلتُ النساء أو ما شابه ذلك.

ميرا:

لا عليكَ سأتجاوز عن ذلك يبدو أنك لا تقصد حقاً.

قال:

ألم أقل لكِ بأنني لا أحسن اختيار كلماتي أوالتحدث بلباقة معكن، ويبدو أن التعامل معكن له بروتوكول خاص وليس لي سابق معرفة أو علم به.

ميرا:

أتقول بروتوكول؟ ألهذه الدرجة لم تتعامل من قبل مع آنسة.

قال:

هذه حقيقة.

ميرا:

أي حقيقة هذه ؟ وكيف يكون ذلك؟

قال:

ألم أقل لك بأنني (بيتوتي) وانطوائي كما يطلقون علي، وعلاقتي بالناس محدودة للغاية وضيقة جداً.

إلا للضرورة فقط...

ميرا:

ألم يكن معكَ آنسات بالعمل؟

قال:

بالطبع يوجد آنسات وسيدات لكن لا علاقة لي بهن.

ميرا:

وهل هذا شيء يُعقل؟

قال:

إن طبيعة عملي اقتضت ذلك الأمر.

ميرا:

وما طبيعة عملك هذا؟

قال:

أعمل علي الكمبيوتر في شركة كبيرة ، رأس مالها ضخم جداً حيث أجلس مدة عملي كلها في غرفة مستقلة منفصلة عن باقي الزميلات والزملاء بالشركة.

ميرا:

ألم تقابل بعضهن أو إحداهن أثناء ذهابك وإيابك بالشركة أو بحضور الإجتماعات أو غير ذلك؟

قال:

لم يحدث ذلك أيضاً.

ميرا:

كيف يكون ذلك؟

قال:

إن عملي له طبيعة خاصة كما ذكرتُ لك بعيداً عن ال أمور الروتينية من توقيع للحضور والإنصراف والإجتماعات وغير ذلك.

ميرا:

أهي مهمة سرية؟

قال:

ليس الأمر هكذا لكن يمكن أن تعتبرينه شيء من هذا القبيل.

ميرا:

هل يمكن أن توضح لي أكثر؟

قال:

إن عملي يتطلب مني إعداد خطط عمل ودراسات وحسابات ورسومات دقيقة وتعامل مع الشركات الكبيرة وغير ذلك، وهذا يحتاج إلى تركيز شديد وليس عندي رفاهية الوقت الكافي، وهم أيضاً في الشركة يعلمون طبيعة عملي وما أقوم به من مجهود كبير لذلك فهم يتركون لي الحرية الكاملة في الخروج والدخول.

ميرا:

فمن ينظف لك غرفتك إذن؟ ومن يرتب لك أوراقك؟ ومن يجهز لك مشروبك؟

قال:

إنه (عم عثمان) ذلك الرجل الجميل الطيب ولديه بنت وحيدة بالجامعة، ويتمني من كل قلبه أن تعمل بالشركة بعد انتهائها من دراستها، وهو يعمل بهذه الوظيفة منذ أن أُنشأت الشركة وهو الذي يقوم بعمل كل هذه الأشياء.

ميرا: أراك تتابع أخبار بنت عم عثمان جيداً.

قال:

ليس الأمر كما تظنين فهو رجل طيب ويحب أن يتكلم معي عن أحواله ويقول لي: بأنه لا يتحدث مع أحد غيري بالشركة، وأنا أسمع منه كلما تحدث معي وهو سعيد بذلك جداً ويشكرني.

ميرا:

يبدو أن عم عثمان رجل طيب حقاً.

قال:

هو كذلك فعلاً.

ميرا:

دعنا من عملك إذن ومن فيه، ألم يكن لك أخوات بنات أو أقارب أو جيران؟

قال:

أنا وحيد وليس لي إخوة أو أخوات، كما أنني ليس لي علاقة بالجيران إلا في حدود ضيقة جدا، أما بالنسبة لأقاربي فهم في الصعيد ولم أذهب هناك منذ وفاة أبي وأمي.

ميرا:

آسفة جدا لم أكن أعلم معذرة رحمهما الله رحمة واسعة، متي حدث ذلك؟

قال:

منذ ثلاث سنوات، مات أبي أولاً ثم ماتت أمي بعده بتسعة أشهر حزناً عليه، حيث كانت علاقتهما ببعضهما علاقة قوية ومتينة مبنية علي الحب الصادق والإخلاص، والتألف الروحي الشديد الذي كان بينهما، وكنتُ وقتها قد أنهيتُ دراستي الجامعية بفترة قصيرة لكني لم أكن قد التحقتُ بعملي هذا.

ميرا:

رحمهما الله رحمة واسعة.

قال:

شكراً لك علي مشاعرك الرقيقة.

وسكت برهة ولم يتكلم .

ميرا:

أين أنت؟

قال:

معذرة إنه الوقت المحدد الذي لا زلتُ أضع فيه الطعام لقطتي الجميلة.

ميرا:

هل لديكَ قطة ؟ فأنا أحب القطط جداً.

قال:

قطتي لها قصة عجيبة معي.

ميرا:

هل لي أن أعرفها؟

قال:

إن قطتي الجميلة ليست عندي الآن ولم تكن عندي قبل ذلك.

ميرا:

فكيف تقول إذن بأنها قطتك؟

قال:

سأقص عليك قصتي معها وما حدث لها.

ميرا:

هيا أخبرني فقد زاد شغفي لسماع قصتك مع تلك القطة.

قال:

ذات يوم وأنا في شقتي سمعتُ صوت مواء هرة صغيرة رضيعة أمام باب شقتي، كان قد أحضرها أحد الجيران ووضعها في الطرقة الطويلة بين الشقتين، عندما وجدها تصرخ من الجوع والخوف فخاف عليها من الهلاك وأخطار الشارع وأحضرها معه إلى عمارتنا.

ميرا:

وماذا بعد؟ يبدوا أن القصة بها أحداث مثيرة للغاية.

قال:

نعم هي قصة مثيرة لكنها مؤلمة وحزينة.

ميرا:

أكمل من فضلك لقد زاد فضولي لمعرفة ماحدث معها.

قال:

خرجتُ لها فوجدتها بالطرقة وأمامها طعام ووعاء دائري من البلاستيك مليء بالرمل حتى تقضي فيه حاجتها، حيث أن هذا الجار الذي أحضرها يربي قطتان في شقته ولديه خبرة كبيرة بتربية القطط وكيفية التعامل معهم وتدريبهم منذ فترة طويلة.

ميرا:

وماذا بعد ذلك؟

قال:

استمر الوضع علي هذا الحال فترة دون حدوث أي مشاكل.

ميرا:

إذن فهي ليست قطتك هذا ما فهمته من كلامك عنها.

قال:

هذا ما حدث في باديء الأمر وسأكمل لك القصة كاملة غداً إن شاء الله.

ميرا:

أنا سأنتظرك في الغد حتى تخبرني ماذا حدث بعد ذلك؟

قال:

إن شاء الله فهل تسمحي لي أن أتصل بك دون أن يسبب ذلك إزعاج لك.

ميرا:

لا مانع حتى تخبرني عن باقي القصة لقطتك.

وفي اليوم التالي اتصل سامر فردت ميرا عليه فقال لها: صباح الخير قالت: صباح الخير هل لي أن أستكمل معك قصة القطة التي انشغلت بها معك.

قال:

لا بأس فإني أراك مهتمة بمعرفة باقي القصة.

ميرا:

نعم هذه حقيقة.

قال:

لقد بدأت القطة الصغيرة تتحرك وتمشيء في تلك الطرقة حتى تصل إلى باب شقتي، ثم تعود هناك عند الشقة الأخرى حيث أن لها مكاناً تنام فيه ومكاناً لقضاء حاجتها وبمرور الوقت بدأتُ أتعاطف معها يوماً بعد يوم لرؤيتي لها يومياً عند خروجي أثناء ذهابي وإيابي للعمل.

ميرا:

وماذا بعد؟

قال:

بدأتُ في وضع اللبن لها في طبق صغير عند باب شقتي والطعام في طبق أخر، وكانت تحب البيض جداً وخصوصاً صفار البيض وكذلك السمك.

ميرا:

نعم إن القطط يحبون البيض جدا وكذلك السمك.

قال:

فكنتُ عندما آكل البيض أترك لها الصفار كما كنتُ أضع لها أجنحة الدجاج

والقطع الصغيرة الطرية أيضاً وهكذا.

ميرا:

وماذا بعد؟

قال:

مكثتُ علي هذا الحال مايقرب من ثلاثة أشهر وهي في الطرقة وليست في شقة أحد تنام في المكان المخصص لنومها، وإذا ما وقفتُ بجانبها تقفز نحوي تلهو وتلعب وتجري وتصعد درجات سلم العمارة فرحة سعيدة في نشاط وحيوية وأنا سعيد جداُ بذلك معها.

ميرا:

فهل وضعتَ لها الطعام الآن؟

قال:

إنها ليست موجودة.

ميرا:

لقت احترتُ معك مرة تقول: قطتي ومرة تقول: موعد الطعام ثم تقول: ليست موجودة هل لي أن أفهم وأن أستوضح الأمر منك أكثر؟

قال:

إنني أيضاً في حيرة ولا أدري عنها شيء حتى الآن.

ميرا:

كيف لاتدري؟ هل حدث لها شيء؟

قال:

ربما حدث لها شيء.

ميرا:

أشعر بمرارة شديدة في حديثك عنها ولكن لايزال الأمر غامضاً في تلك القصة.

قال:

نعم أشعر بمرارة كبيرة وألم شديد.

ميرا:

ألهذه الدرجة تحبها؟

قال:

نعم أحبها كثيراً.

ميرا:

من فضلك وضح لي أكثر عن هذا الموضوع؟

قال:

بعد ان أصبحت القطة بالنسبة لي كطفلي الصغير الذي أحبه وأقدم له الطعام الذي يحبه وألعب معه وأضحك في سعادة كبيرة، وكانت تنتظرني يومياً في الموعد المحدد الذي كنتُ أضع لها فيه الطعام، وذات يوم جاء قط كبير ومخيف علي رائحة الطعام الموضوع أمام باب الشقة، وتشاجر مع قطتي الصغيرة وضربها وأكل طعامها، وما أزعجني جداً هو ضربه الشديد لقطتي التي أصدرت صوتا عاليا خائفة منه في حين أنه لو أكل معها دون أن يضربها لم تكن هناك أدنى مشكلة فهو حيوان جائع وكنتُ سأضع له الطعام أيضا.

ميرا:

هل حدث لها مكروه من هذا القط الغريب؟

قال:

خرجتُ مسرعاً فانصرف القط الغريب فوراً بمجرد خروجي.

ميرا:

وهل اختفت بعد ذلك؟

قال:

لا لم يكن اختفاؤها لهذا السبب.

ميرا:

فماذا إذن؟

قال:

كان قد اشتكي يوماً ما أحد الجيران بالعمارة وتكررت شكواه من وجود القطة، ولا أدري لماذا كانت تلك الشكوي فهي كانت قطة جميلة جداً ورقيقة، وبدأت تتجول في العمارة، وكان الجميع يلعب معها إلا هذا الجار الذي تذمر من وجودها وقال بأنها تسبب له ازعاجاً، لدرجة أنه طلب من حارس العمارة مرة بعد مرة أن يبعدها عن العمارة دون أن نعلم بذلك.

ميرا:

وهل نفذ له طلبه؟

قال:

لقد تجاهلتُ تلك الشكوى وكان هذا خطأ مني لكن هذا ما حدث، ومضت ال أمور كالعادة دون مشاكل حيث أَخرجُ إليها وأضع لها الطعام واللبن والماء وألعب معها، لكنها ظلت فترة حذرة متخوفة ومترقبة لأقل صوت يحدث من حولها، بعد أن كانت شعلة من النشاط والحيوية تلعب وتقفز بكل أمان، كل ذلك حدث معها بعد المشاجرة التي وقعت بينها وبين القط الغريب.

ميرا:

أخبرني عن شكلها.

قال:

هي من القطط البلدي الجميلة المعروفة بشكلها الرمادي المنقط باللون الأسود شعرها ناعم وهي نظيفة جداً ذيلها طويل وعيناها زرقاوتان، ولم تخرج للشارع قط منذ أن جاءت للعمارة وكان وجهها يضحك.

ميرا:

أتقول وجهها يضحك؟

قال:

نعم هي من القطط الجميلة التي تجذب الأنظار ويحب الإنسان أن ينظر إليها من جمال ملامحها وشكلها الجميل.

ميرا:

وماذا حدث لها بعد ذلك؟

قال:

بعد تكرار الشكوي من هذا الجار تشاجر مع حارس العمارة وطلب منه إبعاد القطة عن العمارة في أسرع وقت.

ميرا:

وهل فعل ذلك؟

قال:

نعم لقد فعل ذلك دون أن يخبرني.

ميرا:

وإلي أي مكان أرسلها أوأخفاها؟

قال:

لا أدري وهذا ما وددتُ أن أعرفه ولم أصل إلى شيء حتى الآن.

ميرا:

أراك حزيناً عليها حقاً.

قال:

نعم فقد كانت جميلة جداً ولم أزل حتى هذه اللحظات أخرج في مواعيد وضع الطعام لها علي أمل عودتها في يوم من الأيام، فقد

كانت تستقبلني بالقفز والفرح وهز جسمها أثناء خروجي للعمل وعودتي منه، وكأنها كانت تعلم تماماً مواعيد ذهابي وإيابي وتشعر بوحدتي.

ميرا:

أخبرني من فضلك ماذ فعلتَ بعد ذلك.

قال:

كنتُ كالمجنون عندما عدتُ ذات يوم من عملي ولم أجدها فسألتُ حارس العمارة علي الفور وقلتُ له: أين القطة؟

ميرا:

وماذا قال لك؟

قال:

كان متلعثماً مرتبكاً في البداية ثم قال: إن ذلك الجار الذي كان يشكو منها طلب منه أن يُخرجها من العمارة ويبعدها عنها تماماً، وإلا سيتخذ معه إجراء لا يعجبه فأخرجها الحارس إلى الشارع كما طلب منه، فقلتُ له: لماذا فعلتَ ذلك دون أن تخبرني حتى أتعامل مع الموقف.

ميرا:

وماذا بعد؟

قال:

طلبتُ من الحارس أن يبحث عنها حتى يُعيدها للعمارة، فقال لي: إنها أصبحت كبيرة وتستطيع أن تعتمد علي نفسها، فقلتُ له: كيف تقول ذلك وأنت تعلم أنها لم تخرج للشارع قط ولم تتعلم كيف تواجه مخاطر الشارع هل نُزِعت الرحمةُ من قلبِك.

ميرا:

وهل وجدها؟

قال:

قال أنه لم يجدها، فذهبتُ بنفسي للبحث عنها في الشوارع المجاورة والحدائق ومداخل العمارات، وسألتُ عنها أصحاب الشقق في العمارات المجاورة وتكرر ذلك مراراً في أوقات مختلفة حتى بعد صلاة الفجر أبحث عنها أسفل السيارات وغير ذلك من الأماكن المختلفة لكن دون جدوي.

ميرا:

أنا حزيتة جداً علي هذه القطة التي أحببتُها من حديثك عنها وارتباطك الشديد بها.

قال:

إن فقدي لها أتعبني جدا وأحزنني كثيراً.

ميرا:

لك كل الحق في حزنك عليها وبحثك الحثيث عنها، إذ كيف لها أن تعيش وسط كل تلك المخاطر الموجودة بالشارع.

قال:

تخيلي أنني من وقت لآخر أضع لها الطعام أملا في عودتها يوما ما، وأقف عند الباب فأتذكر جمالها وتحركاتها ولعبها معي.

ميرا:

إنك إنسان رقيق القلب حقاً.

قال:

شكراً لك يا آنستي الجميلة.

ميرا:

ماذا قلت؟

قال:

آنستي الجميلة.

ميرا:

كلمة جميلة جداً أحببتُ أن أسمعها منك مرة أخري.

قال:

إن مَن يتحدث عن قطتي بحب واهتمام أكن له كل التقدير والاحترام والإمتنان.

ميرا:

أستأذنُك إن مرام أختي أتت مع أبنها سليم .

قال:

تفضلي وسنتحدث لاحقا إن أذنتِ لي.

ميرا:

بالطبع سأتصل أنا بك.

وذهب للمطبخ لإعداد النسكافيه باللبن، وجلس يفكر فيما يحدث معه حتى انتهى يومه، وفي مساء اليوم التالي سمع صوت جرس التليفون، فرفع السماعة وتحدث معها وفي أثناء حديثهما قالت له: لقد جلست معي مرام هي وابنها سليم حتى صباح اليوم.

قال:

والآن أقول لك مساء الخير.

ميرا:

مساء الخير تفضل معي فأنا كنتُ أُعِدُ الشاي وسندوتشاً من الجبنة.

قال:

بالهناء والشفاء شكراً لك.

هل أنتِ بمفردِك الآن؟

ميرا:

لماذا تسأل؟

قال:

خطر علي بالي هذا السؤال ولك ألا تُجيبي.

ميرا:

معظم الوقت أكون بمفردي؟

قال:

هل مرام أختك تأتي لك باستمرار؟

ميرا:

نعم تأتي علي فترات متقاربة لأن أبي يقضي معظم يومه في عمله، أما أختي مرام فهي متزوجة ولها ثلاثة من الأولاد سليم وسارة ونانسي، سليم بالابتدائي وسارة بالصف الأول الثانوي ونانسي بالصف الثاني الثانوي وتسكن في مكان بعيد نسبياً عن منزلنا وأمي ماتت منذ خمس سنوات.

قال:

رحمها الله رحمة واسعة، وأسكنها فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

ميرا:

شكرا جزيلاً لك، لكن قل لي: ألم يشغلك أمر وحدتك هذا وبعدك الشديد عن الناس؟

قال:

لا أفكر في هذا الأمر كثيراً فأنا دائما مشغول بعملي وبيتي ومرسمي وقطتي التي لازلتُ أبحث عنها وحياتي رتيبة جداً وروتينية ليس بها جديد.

ميرا:

إن حياتك تبدو صعبة جداً.

قال:

ليس كما تظنين فحياتي كلها هكذا منذ فترة، كالماء الراكد لا حركة به ولا أمواج تهزه أو تغيره ثم جئتِ أنت بأمواج عالية وهزات شديدة حركت تلك الحياة الراكدة، وأخرجت ما كان مخفياً بتلك المياه.

ميرا:

هل يأتي أحد من أقاربك لزيارتك؟

قال:

الزيارات منهم قليلة جدا، تكاد تكون مرة كل عامين أو أكثر من عامين حيث أنهم مشغولون بشؤن حياتهم، ويقيمون بعيداً عني، وأنا مشغول أيضاً بعملي مما جعل الزيارات بيننا قليلة للغاية.

ميرا:

لماذا تغيرت نبرة صوتِك وأنت تتحدث عن أقاربك؟

قال:

أنت تعلمين ما يحدث بين العائلات.

ميرا:

هل لك علاقة بأحد من أقاربك أكثر من الآخرين؟

قال:

كلهم علي مسافة واحدة.

ميرا:

يبدو أن حياتك غريبة.

قال:

لا أري فيها ذلك.

ميرا:

هل لك أنشطة أخرى غير خروجك للعمل وعودتك منه.

قال:

نعم لدي هوايات.

ميرا:

أظنك تحب الرسم.

قال:

نعم هذه حقيقة أحب الرسم منذ الصغر والخط العربي أيضاً، ولكن لماذا توقعتِ هذه الهواية بالذات؟

ميرا:

غالباً يكون الرسم هواية لمن هم في مثل ظروفك من الوحدة والعزلة والبعد عن الناس، حيث يهتمون بالرسم لتعويض هذه الامور وتفريغ الطاقة مع تلك الهواية.

قال:

حقاً فإن لوحاتي تأخذني بعيداً عن تلك ال أمور وأنسي معها كل المشاكل والهموم أنت ذكية جدا ولمَّاحة وقوية الملاحظة.

ميرا:

شكراً جزيلاً لك.

قال:

إنني أيضاً أحب عمل البورتريهات وكتابة الخط العربي بأنواعه.

ميرا:

هل لك معرض حالياً؟ أو فكرتَ في عمل معرض لأعمالك؟

قال:

لقد حاولتُ مرة منذ فترة أن أعمل معرضاً كبيراً قبل وفاة أبي وأمي رحمهما الله تعالي لكن بعد وفاتهما حزنت عليها وانشغلتُ عن إتمام هذه الفكرة.

ميرا:

أنت فنان وصاحب حس مُرْهف ومشاعر رقيقة.

قال:

أشكرك بشدة على هذه المجاملة الرقيقة.

ميرا:

يظهر ذلك جلياً من حديثي معك وكلماتك العفوية الصريحة التي تخرج منك.

قال:

صدقيني إن قلتُ لك بأنني لا أعلم عن نفسي هذه ال أمور مطلقاً.

ميرا:

يبدو بالفعل أن عزلتك عن الناس وعدم التحدث بكثرة مع الأخرين جعلك مختلفاً.

قال:

بل أتحدث معهم في نطاق ضيق جداً، وسمعتُ بعضهم يقول عني: بأنني عبقرى حسابات وأرقام وأشياء من هذا القبيل، ولا أدر لمَ يقولون ذلك عني.

ميرا:

أنا أشعر بذلك فعلاً فأنت لديك صفات تدل علي أنك واحد من الأذكياء والعباقرة.

قال:

ألهذه الدرجة؟ أنت تبالغين أيضاً.

ميرا:

لا لم أبالغ أبداً إن قلتُ لك ذلك، فمعظم العباقرة لهم نصيب كبير من العزلة والوحدة ويعشقون الرسم أحيانا والهدوء.

وتكررت المكالمات التليفونية بينهما، وأصبح ذلك الأمر أساسي في حياة كل منهما اليومية وفي إحدى المكالمات الكثيرة سألها عن اسمها، حيث كان لا يعرف اسمها حتى بعد كل تلك المحادثات في المكالمات التي حدثت بينهما

فقال:

ما اسمك؟ وهل من حقي أن أسألُكِ هذا السؤال؟

ميرا:

وما المانع اسمي (ميرا شاهين).

قال:

هكذا بكل سهولة.

ميرا:

نعم (ميرا).

قال:

أهلاً بك يا .....

وسكت قليلاً ثم قال: هل لي أن أقول اسمك مجرداً دون ألقاب؟

ميرا:

نعم قل (ميرا) فقط.

قال:

أهلاً بك يا ميرا شاهين إنه حقاً اسم مميز جداً ورنان، وله وقع موسيقي علي الأذن فما معنى ميرا؟

ميرا:

لفظ (ميرا) له معان متعددة في لغات مختلفة.

قال:

هل من الممكن أن أتعرف علي بعض هذه المعاني؟

ميرا:

من هذه المعاني لكلمة (ميرا) أنها تعني (رائع) وتعني (السلام) وتعني (الخير) وتعني (الضوء) وقيل: إن هذه الكلمة مشتقة من (مريم) وقيل: أنها بمعني (اللطف).

قال:

ماشاء الله إنه حقاً اسم جميل، يحمل الكثير من المعاني الراقية، لكني لم أسمعه من قبل.

ميرا:

أين ستسمعه وأنت في عزلتك هذه.

علا صوته بالضحك وقال: نعم عندك حق فيما تقولين، أنا أعلم أن لكل إنسان نصيب من اسمه وأظنك هكذا بالفعل يا (ميرا).

ميرا:

شكرا لك وأنت ما اسمك؟

قال:

سؤال مُتوَقَع اسمي (سامر توفيق الحلواني).

ميرا:

سامر أم ساهر؟

قال:

(سامر) بالميم وهو من السَمَر ومعناه المتحدث ليلاً مع الناس، أو مَن يسامر النجوم أي يراقبها وقولي لي (سامر) بلا ألقاب.

ميرا:

كنتُ سأسألك هذا السؤال حالاً إن اسمك أيضاً موسيقياً (سامر توفيق الحلواني).

سامر:

شكراً جزيلاً لك.

ميرا:

هل تعلم أنني عرفتُ المكان الذي تتصل منه من رقم تليفونك.

سامر:

أحقاً هذا يا ميرا؟

ميرا:

أنت من نفس المنطقة التي أسكن بها.

سامر:

صدفة عجيبة يا ميرا.

ميرا:

حقاً هي كذلك.

سامر:

كنتُ أتصل بالصيدلية لإحضار مسكن للصداع الذي يراودني من فترة لأخرى، لكن العجيب جداً أن الصداع الذي كان يلازمني ولم يزول إلا بالمسكن لم يعد موجوداً الآن.

ميرا:

هل نسيت الصداع ؟ أم خفت آلامه؟

سامر:

اختفي فعلاً يا ميرا يبدو أن الحديث معك شيء رائع وعلاج مفيد للصداع.

ميرا:

هل هذه المرة الأولى التي تتحدث فيها بهذه الطريقة مع أحد؟

سامر:

كما قلتُ لك يا ميرا من قبل هي فعلاً المرة الأولى.

ميرا:

هل تعلمين يا ميرا أن الصداع لا يفارقني منذ فترة طويلة ليلاً ونهاراً، ومن العجيب جداً أنه اختفي الآن ولا أشعر بأي شيء حالياً.

ميرا:

هذا أمر جيد لكني أود أن أعلم هل ذهبتَ للطبيب لمعرفة سبب الصداع وحل تلك المشكلة؟

سامر:

نعم ذهبتُ للطبيب وبعد الكشف والفحوصات أخبرني أنه صداع نصفي وسوف يلازمني ولابد من التعايش معه، وأعطاني بعض النصائح والأدوية.

ميرا:

أستأذنك دقيقتين لإعداد كوباً من الشاي.

سامر:

تفضلي يا ميرا وفتح سامر التلفاز ليشاهد الأخبارحتي تعود ميرا.

ميرا:

ألو ألو.

سامر:

أهلاً ميرا لقد عاودني الصداع ويبدو أن علاجه في الحديث مع شخص تطمئنين له.

ميرا:

وهل وجدتَ هذا الشخص البديل عن الدواء؟

ضحك سامر ضحكته الجميلة التي تعجب ميرا جدا وقال لها : نعم أنت يا ميرا.

ميرا:

أحقاً أنا؟

سامر:

بالطبع يا ميرا أنتِ إذا لم يكن أنتِ هذا الشخص فمن يكون إذن، وأنا أخبرتك أنني لم أتحدث مع غيرك مطلقاً بهذه الصورة.

ميرا:

شكراً يا سامر أنا سعيدة جداً بهذا الكلام.

سامر:

إنها المرة الأولى التي أسمع فيها اسمي منك.

ميرا:

هكذا قلتُه دون ترتيب مني بعد سماعي لحديثك عني وأنه ينسيك الصداع تماماً.

سامر:

لقد خرج منك جميلاً جداً وكأني أسمعه لأول مرة في حياتي من حلاوة نطقك له.

ميرا:

كيف سمعته مني؟

سامر:

سمعته منك بطريقة جديدة ورقيقة وجذابة، وأحسست بسماعه منك بأشياء لم أشعر بها من قبل.

ميرا:

أنت تبالغ يا سامر.

سامر:

صدقيني يا ميرا لا أبالغ مطلقاً في كلامي، فهذا ما حدث لي بالفعل.

ميرا:

قل لي إذن كيف أنطقه.

سامر:

لا أستطيع شرح ذلك فهو إحساس مختلف تماما عن سماعه طوال حياتي من الآخرين.

ميرا:

شكراً يا سامر جداً علي هذا الكلام الجميل، قل لي هل وجدتَ القطة؟

سكت سامر ولم يرد.

سامر لماذا لم ترد؟

سامر:

نعم يا ميرا أنا معك.

ميرا:

معذرة عن هذا السؤال.

سامر:

لا عليكِ يا ميرا، لقد عاودني الصداع فجأة عندما تذكرتُ قطتي الجميلة.

ميرا:

لماذا لا تأخذ علاجك يا سامر؟

سامر:

سوف آخذه الآن لكن ليس الحل في أخذ العلاج.

ميرا:

آسفة جداً يا سامر.

سامر:

لا تتأسفي فأنا أحب الحديث عن قطتي كثيراً، لكني شعرتُ بالتعب فجأة عندما تذكرتُ فقدي لها.

ميرا:

أنت رقيق القلب جداً يا سامر.

سامر:

إنها حبي الأول يا ميرا.

ميرا:

أكرر أسفي مرة أخري.

سامر:

لا عليكِ يا ميرا.

ميرا:

أراك شديد الارتباط بها يا سامر.

سامر:

كانت تملأ علي حياتي وتشاركني وحدتي.

ميرا:

ستجدها إن شاء الله .

سامر:

يارب يارب.

ميرا:

استودعها الله يا سامر.

سامر:

لقد فعلتُ ذلك حين غابت ولا زلتُ أستودعها الله تعالي.

ميرا:

كيف حال الصداع معك؟

سامر:

ذهب عني واختفي.

ميرا:

هل أخذتَ علاجك؟

سامر:

لا لكني أكلتُ شيكولاتة.

ميرا:

أتحب الشيكولاتة مثلي؟

سامر:

ومن لايحب الشيكولاتة إنها أكسير السعادة.

ميرا:

وأنا أعشقها جداً ولا أستطيع مقاومتها.

سامر:

إنني أفكر في القطة كثيرا.

ميرا:

هذا الأمر مؤلم جداً وقد يؤثرعلي صحتك يا سامر.

سامر:

لا يؤثر أبداً علي صحتي، بل العكس هو الصحيح حيث إن تجاهلي للتفكير فيما حدث لها هو الذي يحزنني كثيراً ويؤثر علي تأثيراً سلبياً.

ميرا:

يا لك من إنسان جميل ذو قلب كبير.

سامر:

شكراً لك يا ميرا.

ميرا:

هل تصورتَ يوماً أن يحدث ما حدث بيننا؟

سامر:

لم يخطر علي بال أي أحد هذا السيناريو العجيب، أنا أسكن في شارع البنك وأنت أين تسكنين؟

ميرا:

أيعقل هذا أنني في نفس الشارع يا سامر.

سامر:

أنا لا أصدق ماأسمعه منك أنا بجوار محل الكشري.

ميرا:

كشري الأفندي أنني أراه من عمارتنا.

سامر:

نعم، بجوار محل كشري الأفندي يا ميرا بعمارة رقم (٦٥).

ميرا:

هذا شيء أغرب من الخيال إن الصدف العجيبة تتوالى بطريقة غريبة.

سامر:

أنا في حالة من الذهول الشديد بهذا الترتيب العجيب.

ميرا:

هل يمكن أن تخرج في البالكونة؟

سامر:

أنا بالفعل خرجت.

ميرا:

أري ملامِحك من بعيد فمساحة عرض الشارع كبيرة كما تعلم.

سامر:

أحقاً ما تقولين؟

ميرا:

نعم حقاً أراك يا سامر.

سامر:

أنت تمزحين يا ميرا.

ميرا:

لا أمزح أنا أراك من بعيد، أنت ترتدي تي شيرت أبيض بنصف كم وكاب أبيض أيضاً وتمسك التليفون الأرضي بيدك اليمني والسماعة بيدك اليسري والسلك مرفوع بجانبك.

سامر:

أين أنتِ يا ميرا؟

ميرا:

أنا خلف نافذة غرفتي لقد تذكرتُ الآن أنني رأيتك مرة في أحد المولات منذ فترة.

سامر:

يبدو أن هنالك شيء ما ينتظرنا لأن الأمر هكذا عجيب جدا.

ميرا:

يبدو ذلك فعلاً.

سامر:

لدي أمر أفكر فيه وأظن أن كل هذه الصدف سوف تنتهي إليه، وستكون مفاجئة كبيرة لو حدث ما أفكر فيه.

ميرا:

ما هذا الأمر يا سامر؟

سامر:

لا تشغلي بالك الآن يا ميرا إنه شيء خطر علي بالي وانتهي، أخبريني أين تقفين الآن يا ميرا؟

ميرا:

قلتُ لك خلف نافذة غرفتي.

سامر:

فأين عمارتُكِ التي تقيمين بها؟ هل هي في نفس الصف الذي به محل كشري الأفندي أم في الجهة المقابلة له؟

ميرا:

بل في الجهة المقابلة له.

سامر:

هل هي عمارة رقم (٣٦)؟

اندهشت ميرا من السؤال وقالت: لماذا هذه العمارة بالذات؟ أخبرني يا سامر.

سامر:

أخبريني أولاً وسأخبرك يا ميرا.

ميرا:

لن أخبركِ حتى تجيبني علي سؤالي.

سامر:

أرجوكِ هل هذه عمارة (٣٦)؟

ميرا:

لماذا تصر علي هذه العمارة؟

سامر:

ردكِ علي سؤالي سيفجر مفاجأة كبيرة.

ازدادت دهشة ميرا وحيرتها من سؤال سامر، حيث خطر ببالها أن هذا السؤال له علاقة بها، ولماذا يصر علي تلك العمارة التي تسكن بها، وهو لا يعلم مَن هي حتى هذه اللحظة.

ميرا:

أتقول مفاجأة ؟

سامر:

نعم مفاجأة أتمنى أن تتحقق.

ميرا:

لقد أثرتَ فضولي أكثر لمعرفة تلك المفاجأة.

سامر:

أظن أنها هي عمارة (٣٦).

ميرا:

دعنا من رقم العمارة الآن أريد ان أخبرك بشيء هام.

سامر:

تفضلي يا ميرا.

ميرا:

لقد حدث ذات مرة وتكلمتَ معي قبل ذلك.

قال سامر في نفسه: يبدو أنها ليست نفس العمارة فأنا لم أتكلم مع أحد من سكانها من قبل.

سامر:

هل حدث هذا بالفعل يا ميرا أن تحدثتِ معي؟

ميرا:

نعم وأنت الذي بدأت الحديث معي، ويبدو أنك لم تتذكر شيئاً يا سامر حتى لو أخبرتك.

سامر:

يبدو ذلك فعلا أخبريني كيف ومتي حدث ذلك؟

ميرا:

منذ سنة تقريباً عندما كنتَ قادماً يوماً من عملِك، وكانت هناك في الشارع مشاجرة بين بعض الشباب، وقد أصيب أحدهم بجرح كبير في ذراعه، فتدخلتَ لفض المشاجرة مع بعض الجيران، ثم نظرتَ نحو عماراتنا حيث كانت المشاجرة قريبة منها، وطلبتَ شاش أوقطعة من القماش ليتم وقف النزيف حتى تأتي الإسعاف، حيث كنتُ أقف في البالكونة مع أختي مرام.

سامر:

أتذكر تلك المشاجرة وأن سيارة الإسعاف أتت بسرعة، لكن لم أتذكر ما حدث بالضبط اعذريني يا ميرا، فقد حدث هذا الموقف فجأة، وكانت الأجواء عير ملائمة لكي يتجه انتباهي لشيء آخر كما أن الأمرحدث وانتهى بسرعة.

ميرا:

حاول أن تتذكر يا سامر استجمع قواك واقدح زناد فكرك حتى تتذكر.

سامر:

أنا بالفعل أحاول لكني لم أصل لشيء بعد.

ميرا:

أنا التي طلبتُ سيارة الإسعاف.

سامر:

أنت إيجابية جداً وجميلة يا ميرا.

ميرا:

شكراً لك يا سامر كنتُ أتمني أن تتذكرني.

سامر:

يكفي أنك عرفتيني وتشاهديني الآن.

ميرا:

أفهم من ذلك أنك غير مهتم لرؤيتي ومعرفة من أكون.

سامر:

لا يا ميرا لم أقصد ذلك مطلقاً.

ميرا:

إنك لا زلتَ تقع في أخطاء متكررة معي.

سامر:

أعلم ذلك لكني شرحتُ لك ظروفي ووحدتي وعزلتي وأثار ذلك علي طريقتي في الحديث.

ميرا:

هل تعلم يا سامر أنني مثلك تماماً شخصية غير اجتماعية بالمرة، أحب العزلة والوحدة والبعد عن الناس، لكني حاولتُ الظهور معك علي خلاف حقيقة شخصيتي، ولا أدر لماذا فعلتُ ذلك معك.

سامر:

أعلم ذلك جيداً.

ميرا:

ماذا تقول يا سامر هل حقاً كنت تعلم ذلك عني؟

سامر:

من خلال حديثي معك بدا لي ذلك جلياً، واكتشفت الكثير عن ملامح شخصيتك الجميلة وطبيعتك ومشاعرك الرقيقة.

ميرا:

نعم لقد تظاهرتُ معك علي عكس حقيقتي تماماً، فأنا كما ذكرتَ منعزلة جداً عن الناس أفضل الوحدة، لكني خرجت عن صمتي معك وتسلقتُ جدار صمتي، وها أنا الآن ميرا علي طبيعتي وحقيقة شخصيتي.

سامر:

أنا سعيد جداً بما أسمعه منكِ يا ميرا.

ميرا:

وأنا أيضاً في غاية السعادة بالحديث معك، واختراق جدار صمتي وتجاوزي للصراعات والهواجس التي كانت تؤرقني وتكاد أن تفتك بي في أحيان كثيرة لولا لطف الله بحالي.

سامر:

تبدين الآن علي طبيعتك الجميلة.

ميرا:

إنه لشيء رائع أن تكونَ علي طبيعتِك مع شخص تطمئن له.

سامر:

لقد شعرتُ بصمتك الرهيب هذا وعزلتك الكبيرة و وحدتك، لأني أيضاً أعيش معها منذ سنوات لذلك تفهمتُ إحساسك المرهف هذا ومشاعرِك الرقيقة يا ميرا.

ميرا:

كم لكلماتِكَ من جمال وإحساس رائع يا سامر، إنه حقاً لشعور رائع بالطمأنينة والراحة والهدوء لم أشعر به من قبل، شعور يجعلني كالطائر الجميل الذي يحلق ويرفرف فوق الزهور والورود والأشجار في أجمل البساتين.

سامر:

إن سبب ذلك كله يا ميرا هو تلك النافذة التي فُتحت لكل منا في جدار صمته، وكانت هي الأمل الكبير وطاقة النور التي أحيت مشاعرنا من جديد.

ميرا:

أتقول نافذة؟

سامر:

نعم يا ميرا نافذة أراد الله تعالي أن تُفتح لكل منا رحمة منه تعالي بحالنا.

ميرا:

أشعر بذلك حقاً يا سامر.

سامر:

إن تلك النافذة التي ظهرت لنا جعلت كل منا ينظر لبارقة النور والأمل التي طلت منها علينا، هروباً من تراكم تلك المشاعر المكبوتة والصراعات المدمرة عبر سنوات طويلة مضت كانت مليئة بالمشقة والتعب والملل والاكتئاب والوحدة والمعاناة والعزلة.

ميرا:

رغم تبدل حالي هذه إلى ما تقول، إلا أنني لا زلتُ في ارتباك وحيرة شديدة من أمري .

سامر:

هذا أمر طبيعي ووارد يا ميرا بعد كل تلك المعاناة السابقة وتلاطم المشاعر وكبح جماحها.

ميرا:

أشعر بتغيرات غريبة تسري في جسدي وفي مشاعري وأحاسيسي، وأريد أن أبوح بأشياء كثيرة لكني خائفة ومرتبكة ومترددة.

سامر:

إن لكلماتك الملتهبة هذه يا ميرا شعور عجيب وإحساس رهيب، يجعلني أشعر بالقشعريرة والرعشة يسريان في جسدي، مع الرغبة الشديدة في إدراك شيء ما.

ميرا:

إنني حقاً يا سامر أَئِنُ من ثقل أحمال لهيب براكين المشاعر التي انفجرت بداخلي، محطمة جدار صمتي وحرقة نيران الشوق بداخلي ولوعتها.

سامر:

تحدثي يا ميرا بكل شفافية، وخففي عن نفسك هذا العناء، ودعينا نحمل عن بعضنا هذه الأثقال حتى نقوي علي الحياة في ظل ظروفنا هذه.

ميرا:

أريد أن أبكي بشدة وأصرخ بأعلي صوتي، فأنا لا أدري ماذا أفعل.

سامر:

أشعر بكل همسة من همساتك وبكل كلمة من كلماتِك يا ميرا.

ميرا:

لم أعد أتحمل عذاب قلبي وألم البعد وآهاته، كما أن العبارة يا سامر لا تسعفني في التعبير عن حالتي هذه، فماذا عساي أن أفعل؟

سامر:

اهدأي يا ميرا وخذي شهيقاً عميقاً وأخرجيه بهدوء شديد، واسترخي وعلقي القلب بالله رب العالمين فهو اللطيف العليم بذات الصدور.

ميرا:

نعم أنني أفعل ذلك مراراً يا سامر، وأقول يارب بقوة وأدعوه أن يلهمني الصواب لكن الأمر صعب علي نفسي وشعوري مختلف هذه الفترة، شعور مركب متداخل لم يسبق لي أن مررتُ به قبل ذلك في حياتي كلها

سامر:

بل كان موجوداً يا ميرا، لكنه كان محبوساً خلف جدار الصمت بداخلِك، وقد خرَجَ هذه الفترة مهرولاً لمجرد أنه رأي نافذة الأمل التي ظهرت له فجأة في جدار الصمت.

ميرا:

فماذا عساي أن أفعل الآن؟

سامر:

مهلاً يا ميرا فأنا أشعر بتلاطم أمواج مشاعرِك، وأتألم كثيراً لإحساسي الكبير بمدي تعبِك ومعاناتِك وقسوة ما أنتِ فيه ومشقته عليك.

ميرا:

لماذا هذا التعب الشديد وتلك المشاق والصعوبات في هذه الحياة؟، لأبد أن هناك آفاقاً أعمق ومسارات أرحب تسع كل تلك المشاعر المتلاطمة، التي لو خرجت بكامل قوتها لما كان هناك شيء يستطيع أن يوقف قوة تدفقها.

سامر:

إنها دنيا يا ميرا وليست جنَّة.

ميرا:

وماذا يعني ذلك يا حبيبي؟

سامر:

يعني أنها مليئة بالإبتلاءات والصراعات والتعب والشقاء والجهد والمعاناة، وهذا يجعل الإنسان يتعلق أكثر بربه، ويرتقي في علاقته معه، ويسلم بقضاء الله ويرضي به، ويعلم أن كل أقدار الله تعالي خير.

ميرا:

ومن أين لي بالقدرة علي تحمل كل ذلك؟، فأنا إنسانة مسالمة منطوية معزولة بهمومي عن الجميع، لا أُحمِل أحداً مشاكلي سواء كان قريب

لي أو غريب عني، بل أنا مَن أساعدهم في حل مشاكلهم بقدر طاقتي واستطاع تي وامكانياتي.

سامر:

هكذا هم أبناء الصمت.

ميرا:

أتقول أبناء الصمت؟

سامر:

نعم أبناء الصمت، والصمت حكمة، ولغة العظماء كما يقولون.

ميرا:

ماهذه القوة الرهيبة التي تزلزل كياني كله من داخلي وتريد أن تخرج مني، ويكاد جسدي يتفتق إرباً من قوة سطوتها.

سامر:

إنني أسمع دقات قلبك وهمس أهاتك وتنهداتك يا ميرا.

ميرا:

أريد مكاناً شاسعاً مساحته كبيرة جداً وترامية الأطراف كالصحاري والفيافي، حتى أصرخ بأعلى صوتي قائلة آه آه.

سامر:

اهدأي يا ميرا وقولي يارب.

ميرا:

يارب خفف عني ما أنا فيه فأنت أعلم بحالي، وعلمك بحالي يغني عن سؤالي.

سامر:

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً.

ميرا:

يارب أعني علي حالي، فقد فقدتُ السيطرة والتحكم في تلك القوة التي تزلزل كياني.

سامر:

نعم يا ميرا إنها قوة أشبه بشلالات أنهار تتساقط من أماكن شاهقة، فترتطم بصخور كبيرة فتحدث أصواتاً عالية وأمواجاً عاتية تجرف معها كل مايرتطم بها، وما في طريقها بلا حدود تحدها أو سدود تحتويها وتصدها.

ميرا:

نعم هي كذلك وأكثر يا سامر، لكن لماذا ظهرت هكذا بتلك القوة الرهيبة؟

سامر:

لقد آن أوان كشف هذا الأمر وظهوره فلم تعد تلك المشاعر تقوي على التخفي خلف جدار الصمت لمدة أطول من ذلك.

ميرا:

أريد أن أكون معك الآن، لتحتويني وتخفف عني وطأة معاناتي من أهوال مشاعري العارمة وثورة لهيب حرارتها الحارقة.

سامر:

أحبك يا ميرا حباً شديداً.

ماذا قلت يا سامر؟

سامر:

أحبك يا ميرا أحبك من كل قلبي.

ميرا:

قلها مرة أخرى يا سامر بل مرات عديدة ولا تتركها، ماذا فعلت بيَ هذه الكلمة المحفزة ذات القوة الرهيبة التي شعرت بها عند سماعها منك.

سامر:

أحبك أحبك أحبك.

ميرا:

وأنا يا سامر أحبك يا لها من كلمة ساحرة.

سامر:

لا تبكي يا حبيبتي أرجوك يا ميرا لا تبكي.

ميرا:

إن الأمر ليس بيدي يا سامر فدموعي تسبقني وتتساقط من عيني علي وجنتيَ من لهيب نيران شوقي إليك يا حبيبي.

سامر:

حبيبتي ميرا.

ميرا:

يالها من كلمة كالدواء الشافي، سكنت معها الأم جراحي وخمدت بها نيران شوقي، وخفت آهاتي وأناتي، وأخذتني إلى عوالم من الرقي والسمو الروحي لا حدود لها.

سامر:

لدي إحساس يقيني الآن يجعلني أجزم بأنك تلك الفتاة التي أتابعها منذ فترة بالعمارة رقم (٣٦) بالدور الثالث أليس كذلك يا ميرا؟

ميرا:

أحقاً ما تقول يا سامر؟ أنا فعلاً بالعمارة (٣٦) بالدور الثالث.

سامر:

نعم يا ميرا صدفة أغرب من الخيال.

ميرا:

أخبرني كيف كنتَ تتابعني وتراقبني وأنا لا أدري؟

سامر:

أثناء خروجي المعتاد ذات يوم منذ شهر تقريباً رأيتك في الشارع منتظرة الباص الخاص بجامعتك، وأنت ترتدين البلوزة الفوشيا

والبنطال الأبيض والإيشارب الأبيض مع الشنطة الصغيرة علي كتفك، سابحة في تفكير عميق وكأنك بمفردك في الشارع لا ترين أحداً، من فرط استغراقك في التفكير، فأعجبتُ بك إعجاباً شديداً، وأطلتُ نظري إليك حتى أتي الباص الذي كان سيتحرك دون أن تركبي لولا أن إحدى زميلاتك أشارت إليك ونادت عليك حتى انتبهتِ وركبتِ الباص، ومكثتُ أطيل النظر إليك حتى تواري الباص عن عيني، لكن صورتك ظلت أمامي عالقة بذهني، وتكرر ذلك عدة مرات خلال هذا الشهر أثناء خروجك وعودتك.

ميرا:

يالها من صدفة عجيبة حقاً أنت تصفني كما أنا تماماً وبالتفصيل، فعلاً هذه حالتي في كثير من الأحيان أكون منفصلة تماماً عمن حولي وفي عزلة تامة عنهم، لكن قل لي يا سامر: هل كنتَ ستخبرني بما حدث هذا بأي طريقة كانت؟ أم كنت ستظل هكذا دون أن أعلم عن ذلك شيء؟

سامر:

أنا في هذه المدة القصيرة كنتُ مشغولاً بجمال شخصيتك وعزلتك وانفصالك التام عن الناس، وأنت معهم بجسمك فقط، لكن عقلك وقلبك بعيدين كل البعد عنهم، وفي هذه المدة القصيرة من أول مرة رأيتك فيها كان الأمر جديداً بالنسبة لي، ولم أكن بعد قد أخذتُ قراراً في هذا الأمر، لكني بالتأكيد كنتُ سأفكر في ذلك، فأنت تعلمين ظروف عزلتي وعدم خبرتي أوشجاعتي في الحديث معكن يا

حبيبتي والحمد لله علي هذا الترتيب العجيب والصدفة الجميلة والمثيرة في نفس الوقت لقصة حبنا والتي أخبرتك بكل شيء فعلته.

ميرا:

الله علي جمال هذه الكلمة (قصة حبنا) إنه مصطلح جميل ورقيق جداً، قصة حب سامر وميرا علي غرار قصص الحب في التاريخ القديم والحديث.

سامر:

نعم هي كذلك وأكثر بكثير.

ميرا:

أنت فعلا رقيق القلب يا سامر.

سامر:

بل أنتِ يا ميرا حبيبتي الرقيقة وجميلتي التي تسكن روحي وفؤادي وكل كياني ونفكيري.

ميرا:

هل تظن يا سامر أن ماحدث بيننا هو محض صدفة.

سامر:

هي صدفة بترتيب دقيق وتدبير عجيب من الله تعالي يا ميرا.

ميرا:

سبحان الله علي هذا الترتيب والتدبير يا سامر.

سامر:

اللهم اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري.

ميرا:

لم يعد قلبي يتحمل كل هذه الصدف الغريبة والمفاجآت العجيبة التي تعصف بمشاعري وأحاسيسي، حتى جعلتها تترنح يميناً وشمالاً مزلزلة كِياني وكل جوارحي.

سامر:

آه يا ميرا لو بحتُ لك وتكلمتُ بما أشعر به الآن من عواصف مشاعري وهياج رغباتي وعلو طموحاتي في الوصول إليك لألقاكِ عن قرب دون حاجز يحول بيني وبين طموحي هذا، حتى اقترب منك.

ميرا:

قل لي يا سامر ولا تخفي شيئاً مما تشعر به فأنا في أمس الحاجة إلى كلماتِك الحانية ومشاعِرك الملتهبة الصادقة ولا تترك تلك الكلمة

الساحرة كلمة حبيبتي التي تفعل بي ما تفعل وتنقلني من حال إلى حال.

سامر:
أجل أنت حبيبتي وأميرتي وكل حياتي، لكن جدار صمتي لايزال يمنعني من البوح بكل ما بداخل قلبي من مشاعر فياضة وأحاسيس جياشة تجاهك يا ميرا، حيث إن ما وراء جدار صمتي هذا لو خرج لامتلأت الأجواء بالآهات.
ميرا:

دع آهاتك وأناتك تخرج يا سامر، فأنا في انتظار خروجها لأحملها معك ليسكن معها فؤادي وفؤادك فلقد وصلتني سهام حبك بكل ما تحمله من معان راقية وأحاسيس مرهفة.

سامر:

كم لكلمة الحب هذه من جمال ودلال وأسرار لايعلمها كثير من الناس.

ميرا:

نعم، إن لهذين الحرفين جمال وسحرعلي القلب وسائر الجوارح غاية في الإبداع والروعة مع عمق المعاني المليئة بالأسرار والأنوار والجمال.

سامر:

لقد صدق قول القائل: إن الحب من أعظم ما نزل من السماء إلى الأرض.

ميرا:

لا أجد من الكلمات ما يعبر حقيقة عن هذا الحب سوى كلمة الحب.

سامر:

لقد عجزت العبارة عن التعبير عما يجيش في صدري فلم يبق لنا إلا التلويح بالإشارة كما يقولون.

ميرا:
إن لحديثِك مذاق خاص ولهمس كلماتِك دفء وحنان وجمال.

سامر:
إنني أفكر فيما حدث معنا، ولا أستطيع تصور حدوثه بهذه الطريقة المذهلة العجيبة التي كانت لا تخطر علي عقل أحد.

ميرا:
ومن منا كان يمكنه تخيل هذا الأمر وتصوره بالشكل الذي حدث يا سامر.

سامر:
أظن أن لكل شيء موعد ظهور وكشف، كما قلتُ لك قبل ذلك، وقد حان وقت كشف وظهور هذا الحب.

ميرا:

وهل يأتي هكذا فجأة دون مقدمات أو علامات تمهد لنا هذا الأمر كي نستعد له؟

سامر:

بل هناك من العلامات والمؤشرات التي لم ننتبه لها.

ميرا:

وما هي برأيك يا سامر؟

سامر:

أري أن ذلك الصمت الرهيب وتلك العزلة الشديدة والوحدة القاسية، كلها علامات كان من الضروري الإلتفات إليها وإلي دِلالتها وأنه لأبد لها من الخروج يوماً ما من خلف جدار الصمت الذي اختفت خلفه لسنوات طويلة.

ميرا:

سبحان الله علي هذا الترتيب العجيب.

سامر:

لقد مرت علينا سنوات من التعب والشقاء والمعاناة دون أن يعلم بها أحد، وتحملناها بعون من الله تعالي.

ميرا:

إن ما كنتُ أحمله قبلك يا سامر في صدري من مشاعر مكبوتة وآهات شديدة وصراعات مؤلمة، والتي كانت في ثقلها كالجبال، كل ذلك جعلني أتمني اقتراب ذلك اليوم الذي أكون فيه بجانبك علي الدوام ولا أفارقك أبداً لتحمل عني هذا الحمل الثقيل والعبء الكبير، ولا أعود أبداً لهذا الشقاء مرة أخري.

سامر:

هل تعلمي أن من أسباب تحملك لكل هذا هو قيامك بتلك الأعمال الجميلة التي تقومين بها.

ميرا:

أي أعمال هذه التي تقصدها يا سامر؟

سامر:

زياراتك المتكررة لدار المسنين لتقديم الخدمات لهم.

ميرا:

ياربي كيف عرفت ذلك؟ إن ذلك الأمر لايعلمه أحد وكنتُ حريصة جداً أن يظل هكذا سراً لا يعلمه إلا الله.

سامر:

لقد رأيتُك صدفة تذهبين إلى هناك عندما كنتُ أتابع تحركاتك في ذهابك وإيابك.

ميرا:

أتمني أن يظل هذا الأمر بيني وبينك فقط.

سامر:
طبعاً حبيبتي فأنت إنسانة رقيقة ورائعة وصاحبة قلب نقي صادق يا ميرا.

ميرا:

إن عملي هذا يا سامر وذهابي لهم في تلك الدار يمنحني في كل مرة القوة والطاقة والنشاط والحيوية.

سامر:

لقد زاد شوقي لرؤياكِ يا ميرا وثورة نيران شوقي تكاد تقتلني.

ميرا:

أحبك يا سامر وأنا أيضاً أتمني لقاءك بشدة.

سامر:

إنني أعشق ميرا اسماً ورسماً وروحاً بجمال مشاعرها ورقة قلبها الكبير.

ميرا:

ما أخبار قطتك يا سامر؟ هل هناك جديد؟

سامر:

قطتي آه! من قطتي الجميلة التي لا تُنسي لم أجدها حتى الآن، لكني وجدتُ قطة أخرى وهي قطة كبيرة من قطط الشارع وبدأت أنزل عندها كي أضع لها الطعام، لكنها كانت خائفة مني البداية تخطف الطعام الذي أضعه لها وتذهب به لتأكله أسفل السيارات.

ميرا:

هذا شيء رائع جداُ فما شكلها؟

سامر:

برتقالية اللون مع نقط بيضاء ولها عينان جميلتان لكن ليست كجمال عيون قطتي حبيبتي، وأضع لها أحيانا الطعام من بالكونة شقتي.

ميرا:

إنها قطة محظوظة لأنها وُجِدت في طريقك بقلبك الجميل هذا ومشاعرِك الرقيقة، مثل حظ قطتك الأولى التي امتلكت مكاناً في قلبك لا ينازعها فيه أحد غيرها، فهل لي أن أكون مثلها وأزاحمها في مكان بقلبك يا سامر؟

سامر:

أنت روحي وأميرتي وقطتي وصغيرتي وحبيبتي، عقلي معك وقلبي ملك لك.

ميرا:

كم أحبك يا سامر وكم أحترق شوقاً وحنيناً لهمسات صوتك الدافيء، آه لو تعلم يا سامر بما أشعر به الآن.

سامر:

أعلم يا ميرا أعلم جيداً ما تشعرين به، فلهيب شوقي إليك يزلزل كياني ولهفتي لرؤياك تهز وجداني من فرط حبك الكامن بين جوانحي.

ميرا:

أريد أن أراك يا سامر هل عندك عمل غداً؟

سامر:

لا ليس عندي عمل غداً إنها فرصة يا ميرا كي أراك يامهجة القلب ويا قرة العين.

ميرا:

وأنا أيضاً ليس عندي محاضرات غداً بالجامعة.

سامر:

إذن فلنتقابل غداً.

ميرا:

أحقاً هذا؟ لكن كيف سيتم ذلك يا سامر؟ أنا لا أصدق أن ذلك سيحدث فأنا في حالة من عدم الإتزان والحيرة والإضطراب الشديد ولا أستطيع أن أتمالك نفسي من الفرحة ساعدني يا حبيبي.

سامر:

لا تقلقي حبيبتي، فإن شوقي للقرب منك يا ميرا يكاد يحرقني، وأحتاج بشدة لمشاعرك الرقيقة الدافئة.

ميرا:

آه يا سامر إن كلماتك هذه تسحرني بجمالها، وما إن سمعتها منك اقشعر جسمي وانتفضت جوارحي وخفق قلبي وانهمرت دموع عيني

واحمر وجهي، وازدادت حرارة جسدي وذهبتُ مع سامر بخيالي وحنيني وطموحات أشواقي ورغباتي بعيدا بعيدا.

سامر:

آه يا ميرا لو تأت تلك اللحظة التي ننسي فيها العالم بأسره، تلك اللحظة التي يتزلزلُ فيها كِيان كل منا ويذوب في الآخر فلم يبق لأي منا كيان مستقل.

ميرا:

اللهم اجمع بيننا بخير.

سامر:

اللهم آمين يارب العالمين لا تبكي يا ميرا فإن فرج الله قريب.

ميرا:

أستأذنك يا حبيبي لقد رن جرس الباب.

سامر:

دعيه يرن يا ميرا لماذا يرن الآن؟

ضحكت ميرا بنبرات صوتها العذب مع دموعها واحمرار وجهها، وقالت: إنها مرام أختي إنها تطرق الباب بشدة لقد تأخرتُ عليها سأفتح لها الباب.

سامر:

تفضلي يا ميرا.

ميرا:

ذهبت ميرا لتفتح الباب بعد أن حاولت أن تهدأ من نفسها وتمسح دموعها، حتى لا تلاحظها أختها لكنها لم تتمكن من إخفاء كل هذا ففتحت الباب وهي علي هذه الحال وقالت: أهلاً مرام.

مرام:

لماذا تأخرتِ هكذا في فتح الباب؟ وما هذه الدموع يا ميرا واحمرار وجهك؟

ميرا:

حاولت ميرا التظاهر بأن ذلك أمر طبيعي وقالت: لا شيء يا مرام، وترددت ميرا في إخبار أختها مرام بما حدث فقالت لها: لا تقلقي إنها آلامي الشهرية المعتادة التي تعرفينها يا مرام.

مرام:

لكني أراك متعبة جداً يبدو أن الألم شديد هذه المرة.

ميرا:

نعم هو كذلك وارتمت ميرا في حضن مرام وبكت بكاءاً شديداً، فجلست بها مرام علي الكرسي ووضعت يدها علي رأسها وشعرها الجميل المتدلي علي كتفيها وظهرها ومسحت دموعها.

ميرا:

لا تقلقي يا مرام سآخذ مسكن وسأكون بخير إن شاء الله.

مرام:

هل عندك مسكن؟

ميرا:

لا ليس عندي مسكن.

مرام سأذهب وأحضر لك مسكن من صيدلية د. سيليا المجاورة لنا.

تذكرت ميرا صيدلية د. سيليا وأنها سبب غير مباشر في قصتها مع سامر وقالت لمرام: نعم إنها صيدلية ممتازة.

مرام:

لبست مرام طرحتها التي كانت قد خلعتها ووضعتها علي ترابيزة السفرة كعادتها بمجرد دخولها للشقة، وأخذت حقيبتها وخرجت

مسرعة وقالت لميرا: اعتني بنفسك سأذهب للصيدلية وأعود بسرعة.

ميرا:

لا تقلقي يا مرام أنا بخير.

وذهبت ميرا إلى التليفون وقلبها يخفق بشدة مضطربة ومرتبكة تفكر كيف أنها ستخبر أختها مرام بما حدث ثم ذهبت وطلبت سامر.

ميرا:

حبيبي سامر إن مرام ذهبت لإحضار مسكن لي من الصيدلية.

سامر:

أهلا ميرا حبيبتي كيف حال مرام أختك؟ وهل تحدثت معها في شيء؟

ميرا:

إن أختي مرام قد لاحَظَت دموعي وارتباكي، فلم أستطع أن أخبرها بشيء، وقلتُ لها: بأنني أحتاج مسكن لأنني أشعر ببعض الآلام، فذهَبت إلى صيدلية د. سيليا تلك الصيدلية التي لها دور كبير فيما حدث بيننا، ولقد أحببتُ تلك الصيدلية واسم صاحبتها د.سيليا جداً، وسأظل احفظ لها هذا الجميل الذي قدمته لنا دون أن تعلم هي عن ذلك شيء.

سامر:

إن ما حدث يا ميرا أشبه بالقصص الخيالية والروايات التي نسمع عنها.

ميرا:

ولا حتى الأحلام يا سامر تستطيع أن تُجَسِد ماحدث أو تعبر عن معناه الحقيقي الذي أشعر به معك.

سامر:

أصبحت الأماني ممكنة الآن يا ميرا بعد أن كانت شبه مستحيلة.

ميرا:

أحقاً يا سامر كانت هذه أمنيتك؟

سامر:

نعم يا ميرا هي أمنيتي، ولم أصدق نفسي الآن وأنا أتحدث مع ميرا التي أحببتها قبل أن أعلم من هي وقبل أن تعلم هي عن حبي لها شيء فما حدث يا ميرا فاق كل تخيلاتي.

ميرا:

يالك من إنسان جميل رقيق حبيب إلى قلبي.

سامر:

لقد ارتفع سقف طموحاتي معك إلى آفاق أبعد من ذلك بكثير.

ميرا:

كيف ارتفعت تلك الطموحات؟ وإلي أي مدي؟ أخبرني يا سامر.

سامر:

بعد أن تحدثتُ معك يا ميرا وشعرتُ بقلبك النابض ومدي رقتك وعذوبة كلماتك ودفء مشاعرك وحبي الكبير لك الذي كان كامناً أصبحتُ لا أقوي علي البعد عنك ولا أدري كيف كان كامناً خلف جدار صمتي طوال تلك السنوات التي مرت.

ميرا:

أظن أن ما حدث بيننا يا سامر له دِلالات لشيء أكبر من تصوراتنا المحدودة، شيء له فلسفة وعمق ومآلات أظنها ستتضح لنا فيما بعد، وأن هذا الحب قد فتح لنا آفاقاً جديدة لم نكن نعلم عنها شيئاً، جعلت كل منا يتعرف علي عوالم أخرى لم تكن أبداً في حساباتنا ولا تتحملها قدرات كل منا وطاقاته أليس كذلك يا سامر؟

سامر:

أظنه كذلك فعلاً يا ميرا، فإن كل الأحداث التي جرت مع قصة حبنا هذه تشير لما تقولين، وتوضح لكل منا بما لا يدع مجالاً للشك أن

الحب هذا أمر جلل وسر كبير، ومن الصعب أن يحيط بمعناه الحقيقي أي إنسان، وأنه بداية لشيئ أكبر وأعمق يجد فيه القلب الإشباع الذاتي لتلك الرغبة المكبوتة، وهذه إشارة تدل على أن هذا الأمر يخفي وراءه شيئاً ما.

ميرا:

أنا لا زلتُ مضطربة ومرتبكة وأخشيء أن تسألني مرام عما أنا فيه.

سامر:

إهدأي يا ميرا، واغسلي وجهك بالماء ولا تقلقي وسيكون الأمر علي ما يرام إن شاء الله تعالى كوني علي ثقة بلطف الله.

ميرا:

سأفعل ذلك يا سامر أستأذنك دقائق.

سامر:

تفضلي حبيبتي.

ودخلت ميرا وغسلت وجهها وظلت تغمرة بالماء البارد ونظرت إلى نفسها في المرآة الموجودة في تسريحة غرفتها ومسحت دموعها حتى هدأت ثورتها وهدأ خفقان قلبها وظلت تنظر لوجهها، وخلعت طرحتها فانسدلت ضفائر شعرها الأسود علي كتفها وظهرها، ثم فكت ضفائرها وأخذت تتلمس شعرها وتنظر لجسمها وتتنهد بعمق،

ثم خرجت من غرفتها فسمعت جرس الباب ففتحت ميرا الباب ، فإذا مرام أختها قد عادت من الصيدلية وأحضرت المسكن.

مرام:

كيف حالك يا ميرا؟ أراك أفضل الآن.

ميرا:

الحمد لله يا مرام أنا أحسن الآن.

مرام:

لأبد من الذهاب لطبيبتك لنطمئن عليك يا ميرا.

ميرا:

سنرتب ذلك يا مرام وشكرا لك على المسكن.

مرام:

سأذهب إلى زوجي مالك إنه ينتظرني أسفل العمارة هو والأولاد، وسأتصل بك لأطمئن عليك.

ميرا:

لماذا لم تحضري الأولاد معك لقد اشتقت إلى سليم جداً وسارة ونانسي.

مرام:

ليست هذه المرة لأن مالك لديه عمل مهم اليوم، وهو في عجلة من أمره، وسوف يوصلني أنا والأولاد للبيت ثم يذهب لعمله وسليم كان يريد أن يأتي معي، لكن مالك قال له: عندي عمل وسوف نأتي قريباً.

ميرا:

أريد أن أراهم في أقرب فرصة يا مرام بلغي سلامي لهم وقبلاتي.

مرام:

إن شاء الله يا ميرا وفي أقرب فرصة سنأتي جميعاً.

وأخذت ميرا التليفون وجلست خلف نافذة غرفتها وقت الغروب، وكانت أشعة الشمس الذهبية تغازل وجهها المجهد من خلف زجاج النافذة، ونظرت في تأمل وتفكر إلى منظر الغروب مع السماء وقبتها والتي أحست بقرب حافتها، حيث لا أبراج عالية تحول دون رؤية قرص الشمس وقت الغروب بمنظرها البديع ولونها الذهبي الذي يغطي كل المكان مع تلك الأشجار بأغصانها علي جانبي الشارع أمام العمارات، ثم طلبت سامر الذي كان ينتظر اتصال ميرا وهو في البالكونة وفي يده النسكافيه الذي يحبه وعندما رن التليفون رد سامر أهلا ميرا.

ميرا:

أهلاً حبيبي إن الجو اليوم رائع جداً يا سامر وأتمنى لو أنك كنتَ معي في هذه اللحظات والأجواء الجميلة.

سامر:

لقد خطر علي بالي قول من يقول:

سفينة الحب في بحر الهوى وقفت فامنن علي بريح منك يجريها

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها.

ميرا:

ما هذا الكلام الجميل الذي يحمل الكثير من المعاني ذات الذوق الراقي من كلام المحبين.

سامر:

إنه حقاً كلام المحبين من أهل الله ، فقد سمعت ذلك من أحدهم ومن أناس موثوق بعلمهم، سمعتهم ينشدون الكثير من أمثال تلك الكلمات الراقية ولقد شعرتُ وعَرَفتُ معك يا ميرا تلك المعاني السامية التي أرسلوها لنا في أقوالهم ووصلني إحساسهم العالي بهذا المذاق الجميل والذوق الرفيع الذي لم أتذوقه من قبل.

ميرا:

أتقول أهل الله؟

سامر:
نعم هم أهل الله ويقال: أنهم ذاقوا فعرفوا ومن ذاق عرف وهم أهل الحب الحقيقي والعشق الإلهي كما ورد في أقوالهم، ويقال: أنهم يتلقون الكلمات والعبارات والأشعار حتى الأغاني لكبار المطربات والمطربين من أمثال أم كلثوم وغيرها بمعان أخرى سامية وراقية غير المعني الظاهر الذي يبدو لنا منها تماماً.

ميرا:
وهل هم موجودون معنا في عصرنا هذا؟

سامر:
نعم يا ميرا سمعت أحد العلماء يقول : أنهم موجودون في كل وقت إلى قيام الساعة لا يخلو الزمان من واحد منهم.

ميرا:
وكيف الوصول إليهم يا سامر؟

سامر:
يقولون: إن الوصول إليهم يكون أولاً بهداية من الله تعالي وتوفيقه، وسمعتهم أيضاً يقولون: هداية ربي عند فقد المربي.

ميرا:

ماذا تقصد بهذا الكلام؟

سامر:

أقصد أن من أراد سلوك طريقهم واتباعه، فليسعى للجلوس معهم وليجتهد للوصول إليهم ولينصت لكلماتهم ونصائحهم، حيث ينصحون بالطاعة والصبر عليها، ويقولون: بأن الصبر علي الطاعة هو من أقوي أنواع الصبر، ويكون ذلك بكثرة الذكر والفكر والشكر لله تعالى على عظيم نعمته عليه وواسع كرمه وفضله.

ميرا:

يبدو أن الوصول لذلك ليس بالأمر الهين اليسير يا سامر علي ما أظن.

سامر:

نعم فهم يقولون: اترك نفسك لتدابير الله، وقوي نفسك بالعزيمة والإرادة والهمة، وبصدق التوجه إلى الله تعالى واستحضار النية تصل بإذن الله.

ميرا:

يبدو أن الأمر كبير أليس كذلك يا سامر؟

سامر:

هو كذلك يا ميرا فقد سمعتُ أحدهم يقول: بأن الأمر كبير فعلاً وله منهج ومُجَرب ومعمول به.

ميرا:

هل هذا المنهج سيضمد جراحي ويسكن قلبي المشتاق ويروي ظمأه ويشبع رغباته؟

سامر:

أعتقد أنه سيفعل أكثر من ذلك بكثير.

ميرا:

لأبد أن أبحث بجدية عن هذا الطريق الذي تتكلم عنه يا سامر، فالحديث عنه معك حديث مثمر وله مذاق مختلف، ويبدو أنك شخص غير عادي ولديك معلومات وأفكار وأراء مفيدة جداً حول منهج هذا الطريق.

سامر:

لأبد لنا فعلاً من معرفة منهجه يا ميرا.

ميرا:

آه يا سامر تذكرتُ الآن كلمات تلك الأغنية:

أنا كنت إيه قبل م أشوفك أنا كنت إيه (١)

وكنت عايش ياحبيبي أيامي ليه

طريق حياتي مشيته قبلك في ليل طويل

لا قلب جنبي يحس بي ولا طيف جميل

ولما شفتك أول م شفتك بكل شوق الدنيا لقتيني مشدود إليك

سامر:

آه من الست وهي تبدع في أغنيتها الجميلة الحب كله

ياحبيبي يا عبير الشوق يا حبيبي

يا نصيبي من ليالي الشوق يا حبيبي.

---

(١)قصيدة (الحب كله) من كلمات أحمد شفيق كامل

ألحان : بليغ حمدي - غناء أم كلثوم

ميرا:

آه يا سامر لو تدري ما يحدث لقلبي الآن وما أشعر به في هذه اللحظات، وأنا مغمضة العينين سابحة في ملامح وجهك الجميل، وهمسات كلماتك الدافئة الحانية، لقد أحيا حبُّك مواتَ قلبي وأضاء نوره غرفاته المظلمة، فانفجرت براكين مشاعري بلهيب ألسنتها المحرقة من تلك الفوهات التي تفتقت من جوانبه وتحطم جدار الصمت بداخلي، فلم يعد عندي طاقة لتحمله بمفردي، أخبرني يا سامر هل هذه جرأة مني أن أعبر لك بكل صراحة عن بعض مشاعري نحوك، أنا مرتبكة جداً ولدي الكثير والكثير لم أبح لك به، فلو أبحتُ لك لتمنيتُ الآن أن أكون معك فأسترح علي صدرك من عناء آهاتي وشقاء بعدي عنك، فأتلمس قسمات وجهك وأشعر بدفء مشاعرك وحنين أحاسيسك وأتنهد مع دقات قلبك وأذهب معك بعيداً.

سامر:

حبيبتي ميرا لقد أخذتني كلماتُكِ هذه إليكِ بما تحمله من حب وحنان وشوق وهيام، فوجدتُ نفسي وكأنك فعلاً بين أحضاني أتلمس شعرك الحرير المنسدل علي كتفيك وظهرك وأضمك إلى صدري، أتمايل مع دقات قلبك النابض بالحب وأتنسم من رحيق هواء أنفاسك الدافئة وحنين آهاتك.

ميرا:

ما هذه الحيرة التي أشعر بها يا سامر؟

سامر:

أحبك يا ميرا.

قلها دائماً يا سامر فهي كلمة تخمد نيران شوقي ولهيب مشاعري وتلامس شغاف قلبي وتلملم أشلائي المتناثرة من آثار زلزال عواطفي.

سامر:

كم أنتِ رائعة يا حبيبتي.

ميرا:

هل تسمع دقات قلبي يا سامر وأنين آهاتي؟

سامر:

أشعر بأنينك وآهاتِك ودقات قلبك يا ميرا.

ميرا:

خليني جنبك خليني في حضن قلبك خليني وسبني أحلم سبني(١)

سامر:

هل تعلمين قصة تأليف كلمات هذه الأغنية؟

ميرا:

ما قصتها فأنا أعشقها جداً وأبكي معها كلما سمعتها.

سامر:

هذه الكلمات كتبها الشاعر المصري (أحمد شفيق كامل) وهو في الروضة الشريفة بالمدينة المنورة، وكذلك كلمات أغنية (أنت عمري) وكان يقول بأنه كان يخاطب بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم-

ميرا:

الله الله الله .

لقد علمتُ الآن كيف أن لهذه الكلمات ذلك التأثير الكبير علي من يسمعها حقاً إنها تفعل بي حالة عجيبة من الوجد والعشق والهيام

والرقي، حالة يرفرف معها قلبي وتتحرك بسماعها مشاعري وأذهب إلى آفاق بعيدة وأذواق عالية وسمو روحي ومراتب عالية.

---

(١)أغنية أمل حياتي غناء أم كلثوم - كلمات أحمد شفيق كامل- ألحان محمد عبد الوهاب

سامر:

حتى أن أم كلثوم غيرت في كلمات الأغنية بعد أن طلبت من الشاعر (أحمد شفيق كامل) أن يغير جملة (أقوم واصحى على شفافيك بتقول أعيش)، وجعلتها (أقوم واصحى على ابتسامتك تقول أعيش)، وقالت له طالما أنها في مقام النبي ﷺ، فوافق على ذلك.

ميرا:

ما هذه القصة الرائعة، لقد ازداد حبي لها وتعلقي بها بعد معرفتى لقصة تأليفها منك.

سامر:

آه منها وهي تقول:

أد كدا مشتاق إليك أد كدا ملهوف عليك

نفسي أندهلك بكلمة م اتقالتش لحد تاني قد أشواقي وحناني .

ميرا:

حبيبي سامر ضاقت بي العبارة فهل تسعفني الإشارة لوصف حالتي؟ وماذا عساي أن أفعل؟ كم أشقي بهذا الحب يا سامر.

سامر:

أظن أن علوم البشر قد خلت يا ميرا من أن يوجد بها ما يطفيء لوعة هذا الحب ويسكن أنينه وجراحه.

ميرا:

هل أبحث عن ذلك في لغة الطير مثلاً أم ألجأ إلى صمتي مرة أخرى في حرم ذاك الحب والجمال.

سامر:

فإذا وقفتُ أمام حسنك صامتاً فالصمت في حرم الجمال جمال (١)

كلماتنا في الحب تقتل حبنا إن الحروف تموت حين تُقال

حسبك وحسبي أن تظلي دائماً سراً يمزقني وليس يقال

الحب ليس رواية شرقية بختامها يتزوج الأبطال

لكنه الإبحار دون سفينة وشعورنا أن الوصول محال.

---

(١) كلمات من قصيدة نزار قباني (إلي تلميذه)

ميرا:
يا لروعة هذه الكلمات يا سامر إنها من أفضل قصائد نزار قباني.

سامر:
نعم يا ميرا أعشق هذه القصيدة بكل مابها من عمق وفلسفة لمعنى الحب.

ميرا:
قصيدة تُبحر بمن يعيش مع معانيها في بحار الحب والهوى دون سفينة أو شُطآن.

سامر:
هل تسمعي ما أسمع الآن يبدوا أن اليوم به أنوار وأسرار كثيرة؟

ميرا:
إنه الشيخ نصر الدين طوبار أليس كذلك؟

سامر:
هذا الرجل يا ميرا أسمعه بقلبي قبل أذناي، وكأنه صوت من السماء صوت ملائكي ندي خاشع له مذاق خاص اسمعي يا ميرا وهو يقول:
سال دمعي يا إلهي ولولا غربتي ما كان دمعي يسيل
غربتي نجوي ونيران شوق وأسن باك وليل طويل.

ميرا:

ياإلهي ما هذا الجمال الرائع والحس البديع الذي يأخذ الروح بعيدا، وكأن لي جناحان أحلق بهما في الآفاق بذلك الفضاء الفسيح الشاسع مع تلك النجوم المترامية كاللآليء المرصعة في صحن السماء وقبتها.

متي اللقاء يا سامر؟ ضاق صدري عن حمل أثقالي، وأنهكت قواي، لا تتركني هكذا ياحبيبي أريد لقاءك.

سامر:

قريباً يا حبيبتي قريباً يكون اللقاء قولي يا رب.

ميرا:

يارب لطفك الخفي ألطف من أن يُري

وأنت اللطيف بجميع الوري

اللهم الطف بنا خفي لطفك بأحبابك الواقفين بأعتابك

فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

سامر:

إن القلب في حاجة ماسة لمثل كلمات هذا الدعاء الجميل، أستأذنك يا ميرا سأذهب لصلاة العشاء الآن.

ميرا:

تفضل يا سامر لا تنساني من صالح دعائك.

وذهب سامر ليتوضأ ثم خرج وماء وضوئه يقطر من وجهه، وارتدي ملابسه التي يخرج بها للمسجد وأخذ مسبحته الطويلة التي لا تفارقه وأغلق باب شقته حتى وصل للمسجد وصلى العشاء، وبعد أن أنهى صلاته خرج من المسجد وذهب إلى السوبر ماركت لشراء بعض لوازم المنزل، ثم مر علي الفرن ليحضر الخبز الطازج، ولما وصل إلى شقته وضع تلك الأشياء في ثلاجته وبدأ يحضرطعام العشاء لنفسه مع النسكافيه، ووضع ذلك علي الترابيزة وجلس على الكرسي وقبل أن يتناول عشاءه اتصل بميرا.

ميرا:

أهلا يا سامر هل تذكرتني في دعائك؟

سامر:

لقد دعوتُ الله تعالي أن يجمع بيننا علي خير وأن يدبر لنا أمرنا.

وبعد محادثة طويلة بين ميرا وسامر خلد كل منهما إلى النوم حيث كان الوقت متأخراً، وساد الصمت أجواء المكان، نامت ميرا علي ظهرها فوق سرير غرفتها محدقة بنظرها إلى السماء من خلال نافذتها وسحبت الغطاء عليها فدمعت عيناها وسرت رعشة بأطرافها واهتزت شفتاها ولملمت ركبيتيها إلى بطنها وشبكت يديها إلى صدرها ثم راحت في نوم عميق وهي على هذه الحالة.

أما سامر فجلس علي كرسي في غرفته مسنداً ظهره إلى حائط الغرفة واضعاً إحدى يديه خلف راسه ويمسك سبحته باليد الأخرى مادا رجليه علي الأرض وأخذ يهتز بالكرسي وهو يحرك شفتاه بالذكر وأصابع يده تتحرك علي سبحته وكلما غمضت عيناه وكاد أن يسقط انتبه ثم أنهكه التعب فوضع سبحته بجانبه ومد جسمه المنهك علي السرير حتى خلد إلى النوم.

وفي صباح اليوم التالي في وقت الضحى استيقظت ميرا من نومها علي صوت المنبه وهي لا تزال في الوضع الذي نامت به آخذة ركبتيها إلى بطنها مشبكة زراعيها ببعضهما ورأسها مائلة باتجاه صدرها، فشدت جسدها وتممدت علي سريرها وأخذت تتقلب يميناً وشمالاً، ولما انتبهت من نومها قامت وغسلت وجهها ثم أعدت كوباً من الشاي بالحليب، وذهبت نحو نافذة غرفتها وجلست علي الكرسي أمام النافذة والشمس تضرب بأشعتها فانتشرت في غرفتها وعلي

سريرها ثم اتصلت بسامر نهض سامر ورفع سماعة التليفون فقال: أهلاً ميرا إن لرنة تليفونك إحساس خاص.

ميرا:

شكراً حبيبي كيف كانت ليلتك بالأمس يا سامر ؟

سامر:

يالها من ليلة يا ميرا كنتِ معي في رؤية جميلة وكأني لم أتركك، وذهبنا معاً إلى شاطيء بحر جميل مياهه صافية وأمواجه هادئة تضرب الشمس فيه بأشعتها الذهبية الدافئة في منظر بديع لقرص الشمس فوق مياه البحر، وكنا نسير والشاطيء ممسكاً يدك بيدي وأحسستُ حرارتها ونضارة ملمسها ولايزال ملمسها بيدي ثم وضعتُ يدي علي خاصرك وتلامسنا ولم نتكلم كلمة واحدة وكانت نظرات الشوق والحنان ودفء المشاعر والعواطف هي التي تتكلم.

ميرا:

لقد ذهبتُ معك لهذا الشاطيء بحديثك عنه وكأني الآن أسير بجانبك، متعلقة بذراعك واضعة رأسي علي كتفك ملتصقة بك لدرجة أنني أشعر بلمسة يداك وبرد أناملك يسري علي خاصري وجسدي.

سامر:

وكيف كانت ليلتُك يا ميرا؟

ميرا:

كنتُ منهكة ومتعبة لكن نومي كان جميلاً هادئاً، أزال عني شقاء سنوات مضت وهواجس وكوابيس كانت تراودني كثيراً قبل حبي لك، وكان همس كلماتك ودفء حديثك معي هو محور أحلامي في ليلتي أمس، وصورتك لا تفارقني أحدثك وتحدثني وتلامسني بدفء مشاعرك حتى رن جرس المنبه الذي ألقيته علي الأرض.

سامر:

لماذا الجرس يا ميرا؟ أليس هذا يوم أجازتك لماذا إذن؟

ضحكت ميرا ضحكة عالية بصوتها العذب ماذا كنتَ تريد يا سامر؟ لقد رن في الوقت المناسب يا سامر.

سامر:

ليس الوقت المناسب بالمرة كنتُ أتمني أن تكملي حلمك هذا.

علت ضحكاتها الجميلة واحمر وجهها خجلاً، وذهبت لتحضر الشاي والمخبوزات لتتناول إفطارها وعادت بسرعة وبينما هما في حديثهما طرق الباب طارق فذهبت ميرا بوجهها المبتسم واحمرار وجنتيها من آثار ضحكاتها مع سامر، وفتحت الباب فإذا مرام وأبيها الذي كان قادماً من السفر علي الباب، فسلمت ميرا علي مرام وعلي أبيها وهي متوردة الخدين لدرجة ان مرام ووالدها اندهشا من

منظرها الجميل علي غير عادتها، ونظر كل منهما للآخر وهو سعيد لسعادة ميرا وخفة حركتها وحيويتها ونشاطها.

الوالد:

الحمد لله يا ميرا لم أراك هكذا بهذه الحيوية وهذا النشاط منذ فترة طويلة، ثم سألها والدها عن صحتها فأخبرته بأنها أصبحت أحسن من ذي قبل.

وذهب سامر إلى مرسمه الذي يقضي فيه أغلب أوقات فراغه ومعه النسكافيه، ولبس نظارته ثم أحضر لوحة كبيرة وريشته وألوانه و ثبت اللوحة في مدخل شقته، ووقف أمام اللوحة بتركيز، وبدأ في وضع الخطوط العريضة لصورة ميرا المحفورة في خياله وذاكرته والتي أراد أن يرسمها بالحجم الطبيعي، وبالفعل بدأ سامر يرسم الوجه والرقبة والصدر والجسم كله حتى القدمين، وسبح بتركيزه في بحر ميرا وصورتها وعلي غير عادته أنهى جزء كبير منها فهي لوحة ذات طابع خاص، الإحساس فيها مختلف والمزاج عال جداً ولديه رغبة شديدة في الإنتهاء منها في أسرع وقت مع الدقة والتركيز، ومد يده ليشرب النسكافيه فإذا به قد شربه دون أن يشعر فقام ليحضر كوباً آخر من النسكافيه، ثم عاد إلى لوحته واستمر يرسم لوحة ميرا وهو سعيد جداً كلما بدأت ملامح الصورة تتضح شيئاً فشيئاً.

وذهبت مرام لإعداد الطعام، أما ميرا فقد جلست مع أبيها في الصالة كما تعودت أن تجلس معه وهو أمام التلفاز يتابع الأخبار وبدأت

تسأله عن سفره وعمله وهو يقص عليها ما حدث له في سفره الذي يغيب فيه لبضعة أيام لإنهاء إجراءات كثيرة من جمارك وغير ذلك، ثم ذهبت ميرا لتساعد مرام في إعداد الطعام ووضعت ميرا الأطباق علي الترابيزة أمام والدها واجتمعوا علي الطعام، ثم سرحت ميرا في حبيبها سامر وكيف يُجهز طعامة بمفرده، ولاحظ والدها شرودها فضربتها مرام برجلها من أسفل الترابيزة حتى تنتبه وهزت ركبتها بيدها وقالت لها: لماذا لا تأكلي؟ هل عاد لك الألم؟

ميرا:

أنا بخير لا شيء يا مرام.

مرام:

هيا اشربي الشوربة وهي ساخنة حتى تخفف آلامك هذه يبدو أنك تهملين في طعامك كعادتك ياميرا.

ميرا:

فعلاً أنا لم أتناول شيئ من أمس سوى بعض المخبوزات مع الشاي.

مرام :

ألم أقل لك بأنك جوعانة يا ميرا هيا تناولي طعامك.

ضحكت ميرا حتى بدت نواجزها وتبسم والدها وهو ينظر إليها ثم **قال**:

إن مرام تذكرني بأمك يا ميرا وخوفها الدائم عليك فهي مثلها تماماً حتى في الشكل.

ميرا:

رحمها الله تعالي لقد اشتقت إليها وإلي حضنها فقد تركتني وأنا في أشد الحاجة إليها.

مد والدها لها ذراعيه فارتمت ميرا في حضنه وبكت علي صدره وهو يربت علي رأسها وكتفها وجاءت مرام وقالت لها: انظري إلى صورة أمي وانظري إلى ستجدي نفس الشبه فأنت بنتي ياميرا أليس كذلك؟، وحضنتها وقبلتها ثم قالت لهما أستأذنكما لقد وصل زوجي مالك وقالت لميرا سأطمئن عليك وذهب والدها لينام ساعة قبل أن يخرج لعمله.

وكان سامر قد أوشك على الإنتهاء من لوحته لميرا والتي كان يعتبرها كلوحة الموناليزا بالنسبة له، حيث وضع فيها عصارة خبرته وفنه بإحساسه العالي بها وقد حاكى بريشته إحساسه هذا بصورة طبيعية في انسيابية مذهلة من خلال خطوطه، مع تلك التأثيرات والألوان الطبيعية الرائعة.

واستيقظ والد ميرا واستعد للخروج فأحضرت ميرا له فنجان القهوة التي يشربها في مثل هذا الوقت أمام التليفزيون ثم ارتدي ملابس الخروخ وقبل ميرا وقال لها هل تريدين شيئاً.

ميرا:

شكراً جزيلاً يا أبي ولما خرج والدها رن جرس التليفون فرفعت ميرا سماعة التليفون وهي بالصالة تم جلست علي الكرسي وتنهدت ثم قالت حبيبي سامر لقد تأخرت كثيرا عليك وطال انتظاري لسماع صوتك.

سامر:

ترفقي بقلبي الضعيف يا ميرا فلم يعد يقوي على هذا الشوق والحنين لقد أوشكت علي إتمامها يا ميرا.

ميرا:

إتمام أي شيء يا سامر ماذا تقصد؟

سامر:

لوحتك الكبيرة ياميرا فقد كنتُ اليوم أرسم لك لوحة كبيرة بالحجم الطبيعي من مخيلتي وذاكرتي وعشتُ تلك اللحظات مع أجمل نساء الدنيا ميرا حبيبتي.

ميرا:

حبيبي سامر كم أنت رائع أحقاً فعلت ذلك؟

سامر:

نعم يا ميرا وقد أتممتُ منها جزءاً كبيراً.

ميرا:

كيف تم هذا في وقت قصير جداً.

سامر:

إن لوحة ميرا ليست كأي لوحة لقد كانت ريشتي تسبقني علي اللوحة تعرف طريقها إليك يا ميرا بإحساس عال جداً.

ميرا:

كيف لي أن أراها يا سامر؟

للأسف هي كبيرة جداً ومثبتة علي حاملين كبيرين من الخشب علي الجدار في مدخل الشقة ولا أستطيع ان أحركها بسهولة.

ميرا:

أريد أن أراها يا سامر يبدو من كلامك عنها أنها رائعة.

سامر:

سأرتب هذا الأمر لا تقلقي اسمحي لي أن أرتب بعض أوراقي لكي آخذها معي غداً فهي مطلوبة مني.

ميرا:

سأتركك يا حبيبي حتى تنجز عملك.

سامر:

أنا أريدك معي لا تتركيني حتى أرتب أوراقي.

ميرا:

إذا كان هذا سيساعدك فأنا معك.

سامر:

طبعاً سيساعدني بالتأكيد وهل في هذا أدنى شك يا ميرا.

ميرا:

فلتبدأ يا حبيبي حتى لا تتأخر.

سامر:

أنا بالفعل بدأت بترتيب أوراقي وهي أول مرة أشعر فيها بسعادة ومتعة مختلفة أثناء أداء عملي كما أشعر بالنشاط والحيوية أكثر مما كنتُ عليه قبل ذلك.

ميرا:

ألم يخرجك وجودي معك عن تركيزك ؟ فأنا أعلم أن عملك يتطلب تركيز شديد.

سامر:

كيف تقولين ذلك بل زاد تركيزي جداً وبدرجة كبيرة وأنت معي يا ميرا ويبدو أنني سأنجز أعمالي كلها بعد ذلك معك حيث قوة التركيز والنشاط وأنت بجانبي.

ميرا:

أنتَ حبيبي وعمري وأملي وحياتي يا سامر.

سامر:

وأنتِ ملاكي الجميل الراقي لقد أوشكتُ علي إنهاء تلك الأوراق.

ميرا..

بهذه السرعة أنجزت عملك يا سامر؟

سامر:

وباتقان شديد أيضاً فأنتِ مصدر قوتي ونشاطئ يا ميرا.

ميرا:

كم أنت جميل يا سامر ويبدو أن للحب أسرار رهيبة تغير الأجواء والنفوس والطاقة داخل النفس وفي محيطها من الكون حولها.

سامر:

نعم فالحب أسراره لا تنتهي وعجائبه ليس لها نهاية، فهو من أعظم ما أنزل الله من السماء إلى الأرض.

ميرا:

أنت محق فيما تقوله فقد تبدل حالي إلى حال لم أكن أبداً أتخيل أن يحدث لي أو أحلم به، وإنني أفكر في هذا الموضوع كيف يكون الحال عندما أذهب للجامعة بهذا التحول الكبير والتغيير وماذا سيكون رد فعل الزميلات والزملاء.

سامر:

لا تحملي لذلك هماً يا ميرا فأنت تحملين الآن قوة الحب وما أدراكِ ما قوة الحب!، التي تستطيعين من خلالها عمل أشياء كثيرة لم يكن بمقدورك عملها قبل ذلك تجعلك تتغلبين على كل ما يواجهك من مواقف صعبة بكل حكمة.

ميرا:

ألم أقل لك أنك معلمي يا سامر بتوجيهاتك الصائبة وحبك الكبير ونصائحك الرائعة لي والتي أضعها أمام عيني علي الدوام.

سامر:

بل أنت الجميلة يا ميرا إنك تتقبلين مني ما أقوله بكل الحب والرضا، وأنا أيضاً أستمد من قوة حبك حماسي وأملي الذي تجدد معك.

ميرا:

لأنك حبيبي قل لي يا سامر ماذا أكلتَ اليوم؟ إن هذا الأمر يشغلني كثيرا وأفكر فيه باستمرار كيف تعد طعامك يومياً.

سامر:

لا تقلقي يا ميرا فأنا أعيش بمفردي منذ فترة، وقد تعودتُ علي ذلك وتعاملتُ مع الموقف مرة بإحضار طعام من الخارج أو تحضير بعض الوجبات السريعة بالمنزل، وهكذا فلا تشغلي بالك بهذا الموضوع.

ميرا:

لا أستطيع أنني فعلاً مشغولة بك وبحالك هذا، وكم أتمنى أن أكون معك أرتب لك كل أمورك وأن أطعمك بيدي وأضع لك الطعام الشهي الذي أعده لك في فمك وأجلس لخدمتك يا حبيبي.

سامر:

حبيبتي ميرا: كم أحبك وأتمنى اقتراب ذلك اليوم الذي تكوني فيه معي وأنا الذي أجلس لخدمتك.

ميرا:

حبيبي سامر إن قلبي يزيد في خفقانه من كلماتك الحانية وتزداد رغبتي الشديد في القرب منك والراحة علي صدرك وبين أحضانك الدافئة.

ماذا أفعل يا سامر؟ بل متي وأين يكون ذلك؟

سامر:

قريباً يا حبيبتي سيتحقق كل ما يدور بذهنك وذهني فلم أعد أقوي أنا أيضاً علي بعدي عنك.

ميرا:

كم أتمني ذلك من كل قلبي وبأسرع وقت ممكن ،هل هذا صوت عبد الوهاب الذي أسمعه يغني عندك؟

سامر:

نعم هو الموسيقار العظيم محمد عبد الوهاب يغني في الراديو.

ميرا:
هل يمكن أن ترفع الصوت فأنا من عشاق موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب.

سامر:
لقد رفعت صوت واقتربتُ بسماعة التليفون منه، هل تسمعينه بوضوح الآن؟

ميرا:
نعم إنها من أجمل أغانيه أغنية (النهر الخالد) وأنا أحبها بجنون.

سامر:
إنها من الأغاني المفضلة لدي جداً.

ميرا:
سمعت في شطك الجميل ما قالت الريح للنخيل (١)
يسبح الطير أم يغني ويشرح الحب للخميل
وأغصن تلك أم صبايا شربن من خمرة الأصيل
آه آه آه آه علي سرك الرهيب وموجك التائه الغريب يانيل ياساحر العيون

---

(١) كلمات / محمود حسن - غناء وألحان / محمد عبد الوهاب

سامر:

يالها من كلمات ذات معان راقية مع صوت جميل عذب مليء بالإحساس، فأنا دائماً أحب سماع تلك الأغنية وأنا أرسم لوحاتي فتنقلني حين سماعها إلى حال غير الحال الذي أكون فيه، حيث الصفاء والنقاء والوجد وتأخذني من مكاني الذي أنا فيه إلى جلسة هادئة علي شط النيل مع شمس الأصيل وأشعتها الذهبية التي تغازل مياهه، فتعمل هذه الأجواء الرائعة الصافية علي زيادة الراحة عندي والتركيز والإبتكار والإبداع.

ميرا:

إن وصفك البديع هذا يا سامر مع إحساسك العالي بما تصفه جعلني أسبح معك في بحر هواك الواسع ونهرمشاعرك الرقيقة الدافئة بلا سفينة أو شطآن لهذا النهر العظيم، ومتيمة بحبك المتغلل بأعماقي.

سامر:

أشعر بقرب انفراجة يا ميرا وبتحقيق أمانينا بإذن الله.

لقد تذكرت أن أسألك هل ستذهبين للجامعة غداً؟

ميرا:

نعم سأذهب للجامعة غداً وأنا مترقبة لرد فعل زميلاتي وزملائي بالجامعة فأنا نفسي أستغرب من تغير ملامحي المفاجيء، فكيف بهم عندما يرونني؟ وماذا سيكون موقفهم معي؟

سامر:

هل تعلمين أنني خريج جامعة القاهرة أيضاً.

ميرا:

إن الصدف تتوالي علينا من كل اتجاه، وما خفي كان أعظم.

سامر:

لا تقلقي يا ميرا من رد فعل أي شخص مهما كان ذلك الفعل، فقط كوني علي طبيعتك وتذكري ثقتك بنفسك كما أنت دائماً ولا تبالي بأي تعليقات أو غير ذلك.

ميرا:

أحتاج لدعمك المستمر يا سامر وكلماتك التي لها تأثيرها القوي علي فأنت حبيبي.

سامر:

سأنتظرك غداً بعد عودتك يا ميرا حتى تقصين علي ماحدث معك.

ميرا:

هل من الممكن أن أراك غداً في الجامعة؟

سامر:

هذه أمنيتي يا ميرا وسأرتب أمور عملي، لأن عندي عمل هام غداً بالشركة وسأخبرك حتى نتقابل بالجامعة قريباً إن شاء الله.

ميرا:

أنا لم أتخيل يا سامر أننا لم نتقابل وجهاً لوجه حتى الآن هذا أمر شبه مستحيل، أنا في ظني أنني معك عمري كله، ولم يعد عقلي يتذكر تلك الفترة التي لم تكن فيها معي، فقد ركب عقلي كل أحداث حياتي الماضية وأنت معي بها، ولا أدري كيف تم ذلك لكن هذا ما حدث يا سامر.

سامر:

هذا أمر عجيب فعلاً أشعر بأنني أعرفك منذ طفولتي وأعلم عنك أشياء كثيرة جداً، وهذا أمر في غاية الغرابة والإثارة والدهشة.

ميرا:

أتمني رؤياك يا سامر في أسرع وقت، وأتمني أن تلامس يداك يدي ونقترب من بعضنا بقوة، أنظر في عينيك الجميلتين، أقرأ فيهما كل ما يجول بخاطرك وما يدور بداخل قلبك الكبير.

سامر:

إنها اللحظة التي أنتظرها بكل شوق ولهفة يا ميرا تلك اللحظة التي أنظر فيها لوجهك الوضاء وعينيك الجميلتين وحمرة وجنتيك وعبير يديك وشعرك الحرير المنسدل علي كتفيك.

ميرا:
أظن أنني في تلك اللحظة سأغيب منك عن الوعي تماماً، فكن حريصاً ومستعداً لذلك بكل الطرق وكيف سيكون التصرف حينئذ.

سامر:
لا أدري كيف يكون الإستعداد في مثل هذه المواقف التي أجهلها تماماً يا ميرا ولم أجربها، ولم يكن لي سابق خبرة بها من قبل، فهي مواقف تجتمع بها كل معاني الحب والعشق ونيران الشوق ولهيبه والرغبة القوية في احتوائك والقرب منك مع الحيرة الشديدة .

ميرا:
هل سيحدث هذا يوماً ما ونتقابل يا سامر؟

سامر:
بالطبع يا ميرا بإذن الله سيحدث ذلك ونتقابل وستتكرر اللقاءات بيننا.

ميرا:

متي سيأتي هذا اليوم متي يا سامر؟

سامر:

قريباً جداً يا ميرا تفاءلي بالخير دائماً.

ميرا:

قريباً قريباً لقد سمعتها منك كثيراً، لقد اشتقتُ إليك حقاً يا سامر فمتي اللقاء إذن؟

لماذا تضحك؟

سامر:

لأنك حبيبتي وصغيرتي وجميلتي وأميرتي وغزالي الممشوق.

ميرا:

كلمات جميلة ورقيقة ولها وقع رائع في نفسي أشعرمعها بالأمن والسلام والحماية أيضاً والحنين كما أشعر بدفء أحضانك وأنفاسك حين تقول يا صغيرتي، أحقا ترأني غزالاً ممشوقاً؟

سامر:

أنت فعلاً هيفاء بارعة الجمال وخفيفة الظل وجسمك مثالي ومشيتك كالغزال الممشوق ولأبد أنك تعلمين ذلك عن نفسك.

ميرا:
أعلم ذلك معك الآن فقط يا سامر، فقد نسيت كل ذلك بسبب ما كنتُ فيه من اكتئاب وعزلة وهروب من الناس، لدرجة أنني لم أنظر لنفسي في المرآة في الماضي إلا صدفة عابرة، أما الآن وبعد وجود حبيبي معي في حياتي أصبحت المرآة بالنسبة لي أكثر من الطعام والشراب أنظر منها لميرا الجديدة وكأنها إنسانة لم أعرفها من قبل، مفعمة بالحيوية والنشاط والخفة والجمال مع انسيابية في الجسم الذي كان قد تيبس وتصلب ونسيتُ معه أني آنسة، أستأذنك حبيبي سأذهب الآن لتجهيز ملابسي للجامعة.

سامر:
ارتدي بلوزتك الفوشيا وشروالك الأسود الواسع والطرحة الحرير البيضاء المزركشة.

ميرا:
ماذا تقول يا سامر؟ كيف عرفت ذلك؟

سامر:
إنني سجلت ألوان ملابسك التي كنت تخرجين فيها عندما كنتُ أراك وأتابعك.

ميرا:
أحقاً ما تقول أم أنك تمزح؟

سامر:
أنا لا أمزح يا ميرا عندي لك كشكول به ألوان الأطقم التي تخرجين بها.

ميرا:

حقيقة أنا لا أصدق ما أسمعه منك، كم هذا رائع ومدهش أن أجد شخص مهتم بي هذا الاهتمام ويعلم أشياء خاصة جداً عن حياتي حتى دولاب ملابسي، ومن يكون هذا الشخص إنه حبيبي سامر.

سامر:

نعم لدي تفاصيل دقيقة لمشيتك ونظرتك وحركاتك وتأملاتك والحلي المتدلي علي صدرك وعلي معصميك وأصابع يديك، كل ذلك سجلته دون أن يخطر ببالي يوماً أن يحدث ما حدث بهذه الصدفة العجيبة التي جمعت بيننا.

ميرا:

هو شيء جميل فعلاً ومحير جداً في نفس الوقت.

سامر:
لِمَ الحيرة يا ميرا؟

ميرا:

طبعاً حيرة كبيرة فهل هذا شيء يُعقل يا سامر؟ إذ كيف يتم استيعاب حقيقة ما حدث مع ما يتخلله من الخوف الرهيب من مستقبل تلك القصة التي جمعت بيننا بطريقة أغرب من الخيال وما سيجري فيه وهل ستكتمل قصة حبنا هذه وتساؤلات كثيرة أخرى من هذا القبيل حول ذلك يا سامر.

سامر:

إن شاء الله يا ميرا سيتحقق كل ما نتمناه وأكثر ولم يكن هناك ما يخيفنا من تحقيقه وسنتلاقي قريباً كما تلاقت أرواحنا فهو الكريم سبحانه، ارمي حمولك عليه يا ميرا ولا تخافي ولا تقلقي.

ميرا:

كم أنا محظوظة بحبك يا سامر ومتابعتك لي قبل أن يحدث ما حدث بيننا.

سامر:

بل أنا المحظوظ يا ميرا لأني وجدت قلبك الشفاف النقي هذا بما يحمله من الحنان والعطف والرحمة والرقة والمشاعر الصادقة، والذي شعرت به عندما كنتُ أتباعك قبل أن يحدث ما حدث.

ميرا:

حبيبي سامر أريد أن أخبرك بأمر يخص صحتي.

سامر:

خيراً حبيبتي سلامتك يا نورعيني ومهجة فؤادي حفظك الله من كل سوء.

ميرا:

أنا مولودة بكلية ضامرة لا تعمل، أما الأخرى فهي سليمة واكتشفنا ذلك صدفة عندما كنت أعمل بعض الفحوصات.

سامر:
كليتي تحت أمرك يا ميرا أنا كلي لك يا حبيبتي.

ميرا:

متعك الله بالصحة والعافية حبيبي إن أموري الصحية بخير، لكني أحببتُ أن تكون علي علم بكل شيء يخصني.

سامر:

هل لذلك أي ألم أوتأثير عليك يا ميرا؟

ميرا:

إن الأمر طبيعي جداً ولا توجد أي مشكلة والحمد لله رب العالمين.

سامر:

أنت ملهمتي يا ميرا وحبك هذا أضاء جنبات حياتي وأعطاني قوة ونشاطاً وحياة.

ميرا:

قد إيه من عمري قبلك راح وعدي يا حبيبي (١)

قد إيه من عمري راح

ولا شاف القلب قبلك فرحة واحدة

ولا داق في الدنيا غير طعم الجراح

سامر:

هات عينيك تسرح في دنيتهم عيني

هات إيديك ترتاح بلمستهم إيدي

ميرا:

ياحبيبي تعالي وكفاية ال فاتنا هو فاتنا يا حبيب الروح شوية.

---

(١)أغنية إنت عمري للشاعر أحمد شفيق كامل

غناء أم كلثوم - ألحان محمد عبد الوهاب.

وذهبت ميرا للنوم وهي تفكر فيما حدث ثم استيقظت في الصباح لكي تذهب للجامعة، واستعدت للخروج من منزلها وانتظرت الباص وهي تنظر حولها في كل اتجاه وكأنها تري المكان لأول مرة، فقد رأت أشجاراً جميلة لم تكن تدرك جمالها قبل ذلك حيث اختلفت نظرتها للأشياء والأشخاص بعد ما طرق الحب باب قلبها، وكانت تبحث عن سامر لكنها لم تجده، ولما وصل الباص عند باب الجامعة دخلت ميرا منتشية في مشيتها ممشوقة القوام علي غير عادتها تماماً، وقابلتها زميلتها (إنجي) ولم تعرفها من الوهلة الأولى، والتبس عليها الأمر فاقتربت منها كي تتأكد أنها ميرا ثم قالت: ميرا ماذا حدث يبدو أن هناك حدث كبير أخبريني يا ميرا أنني أري عروساً في ليلة زفافها.

أخفت ميرا إعجابها الشديد بما تسمعه من إنجي ولم تظهر لها ما تبطنه، **وقالت**: لا شيء يا إنجي أنت تبالغين.

ثم تابعت إنجي حديثها **وقالت**: ماذا حدث لجسمك ومشيتك وقوامك واحمرار وجنتيك وتوردهما دون أي رتوش أو مكياج مما تضعه البنات بالجامعة، ثم تحدثت معها عن أنوثتها التي ظهرت بصورة طاغية وصوتها العذب المختلف عن ذي قبل وإحساسها المرهف العجيب وشفتاها الملتهبتان بلونهما الوردي الصارخ.

إنجي:

كل هذا يا ميرا وتقولين لا شيء، لأبد أن هناك أمراً عظيماً قد حدث وتخفينه عنا هيا أخبريني ماذا حدث؟

ميرا:

دعينا من كل هذا المزاح يا إنجي، قالت ميرا تلك الكلمة وهي تعلم مدى حيرة إنجي وكل من رآها وشعورها يزداد بالإنتصار والنشوة والسعادة مما تري وتسمع.

إنجي:

أنت فعلاً مختلفة تماماً أنا لا أمزح يا ميرا هل تزوجتي مثلاً؟

ميرا:

ألهذه الدرجة يا إنجي بين يوم وليلة سأتزوج، قلتُ لك دعكِ من هذا المزاح والمبالغة الشديدة هيا لندخل المدرج لقد بدأت المحاضرة.

إنجي:

أنا أعرفك يا ميرا جيداً أين العزلة والإنطوائية، ونظرة الاكتئاب وعبوس الوجه خلف جدار صمتك الدائم وشرود الفكر وعدم التركيز فيما يحدث من حولك، لقد حدث تحول رهيب وعجيب ولا أدري ماهو هذا الشيء الكبير والقوة العظيمة التي أدت لذلك في مدة

وجيزة جداً، إنه لأمر مثير للدهشة والحيرة والرغبة الشديدة في معرفة السبب وراء ذلك.

ولم تذهب إنجي للمحاضرة مع ميرا وظلت مع دهشتها حائرة تفكر فيما حدث لها من هذا الجمال الذي ظهر عليها والدلال والأنوثة، وكيف ظهر بهذه الصورة وكيف أخفت ذلك كله دون أن شعر بذلك أحد من قبل.

ولما دخلت ميرا إلى المحاضرة بثقتها الكبيرة التي بدت عليها علي غير عادتها تحولت جميع الأنظار إليها في ذهول وكأن زائراً جديداً قَدِم عليهم ببريق عينيها وجاذبيتها وأنوثتها، حتى أن كلاً منهم أوجد لها مكانا بجانبه حتى تجلس فيه وجعلوا يتوددون إليها وكأنهم يتعرفون عليها لأول مرة فقد كانت ميرا مفعمة بالحيوية والنشاط وجمال الحب وقوته وسطوته وأسراره الكبيرة التي لا نهاية لها، فقد ظهر كل ذلك عليها وكأنها أُلبست هالة من النور والإشراق وحسن الأخلاق وكأنها عروس في ليلة زفافها بلا رتوش زائفة أو صبغات كاذبة حيث بدت إنسانة مختلفة تماماً عن ميرا التي يعرفها الجميع.

وكان جمالها ظاهراً وباطناً وهكذا هو الحب وتلك ثمراته إذا تملك من قلب إنسان بكل كيانه يظهر بشكل مغاير لما كان عليه قبل أن يتملك الحب قلبه وكيانه وجميع جوارحه، واختفي التنمر الذي كان يحدث معها وتعاني منه وعدم اللامبالاة التي كانت تصدر من معظم الزميلات والزملاء بالجامعة تجاهها، وكانت لحظات مختلفة ومتميزة جداً تمنت ميرا أن يكون سامر موجوداً معها في تلك

اللحظات حتى يراها في عرسها هذا بين زميلاتها في الجامعة فهو السبب الرئيسي في كل ما حدث لها.

واستمعت ميرا إلى المحاضرة وكل واحدة من زميلاتها تهمس لمن بجانبها بكلمات وفي داخلها أسئلة كثيرة عن ماهية ذلك الشيئ الذي يستطيع أن يغير إنسان بهذه الصورة الكبيرة، وكذلك الزملاء الذين كانوا لا يهتمون مطلقاً لوجودها أو غيابها، حيث كانت في عزلة تامة وانطواء شديد ولا تهتم بنفسها أو طريقة لبسها، وكان لها شكل واحد محدد لا تغيره ولا تهتم بتغييره ولم تكن تشغلها تلك الامور إلا نادراً.

وهؤلاء الزملاء أيضاً كانوا يختلسون النظرات غير مصدقين ما حدث وهي تراقب وتلاحظ كل ذلك دون أن تبدي أي رد فعل تجاه نظراتهم وأسئلتهم التي تدور في رؤوسهم.

أما سامر فموقفه في شركته مع زملائه وزميلاته كان مشابهاً لموقف ميرا بالجامعة بداية دخل سامر من الباب الرئيسي للشركة والذي يدخل منه جميع العاملين به،ا فقد اعتاد منذ استلامه العمل بالشركة أن يدخل من باب خلفي للشركة علي غرفة مكتبه مباشرة دون أن يتقابل مع أحد سوي موظف الأمن.

أما في هذا اليوم فقد دخل منتشياً سعيداً تبدو عليه علامات البهجة والسعادة والحيوية والنشاط علي غير العادة وسلم بحرارة وحميمية علي كل من يقابله وكأنهم من عائلته مع أن معظمهم لا يعرفه لأنه لا يتقابل معهم ولعدم تواجده بينهم باستمرار مثل باقي العاملين.

أما الذين يعرفونه فكانوا في دهشة من هذا التغير المفاجيء وأسلوبه الرقيق الهاديء معهم.

ثم استأذن ودخل علي المدير فاندهش المدير من الصورة الجميلة التي ظهر بها سامر وقال له: أهلاً سامر إنها المرة الثانية التي تدخل فيها المكتب بعد المرة الأولي التي تسلمت فيها عملك ومعظم عملك معي من خلال التليفون والمخاطبات الورقية.

ضحك سامر وقال: أحقاً هذا لم يخطر ببالي ذلك ولم أكن أقصده.

المدير:

أعلم ذلك يا سامر أنك لم تقصد فأنت منهمك في عملك وبكفاءة عالية، ونحن في الإدارة نعلم عنك كل هذا، ولذلك لم نعلق عليه ولم نلفت نظرك له طالما أن العمل يسير بالشكل الأمثل وبكل دقة.

لكن قل لي يا سامر ماذا حدث معك؟، أراك سعيدا ومبتهجاً علي غير الصورة التي نعلمها عنك من الجدية والتجهم أحياناً، وهذا أمر يسعدني جداً فأنت إنسان موهوب جداً ومبدع ولديك حس ابتكاري في عملك، والشركة تعتمد عليك بصورة كبيرة ونحن نقدر لك ذلك جيداً.

سامر:

شكراً جزيلاً لك علي هذا التقدير الكبير وسوف أبذل قصاري جهدي في تنفيذ بعض الأفكار التي أعمل علي بلورتها والتي ستحدث طفرة جديدة لشركتنا.

المدير:

ما شاء الله لقد تعودنا منك علي مثل هذه الأفكار التي صعدت بالشركة لمكانة عالية بين الشركات المنافسة لنا، وأشاع سامر جو من البهجة والفرحة في المكان بين الزملاء والزميلات في ذلك اليوم.

وبعد انتهاء يوم ممتع بالنسبة لسامر وميرا عادت ميرا تسابق الزمن، سابحة بفكرها فيما حدث تنظر إلى السماء من زجاج الباص قبيل الغروب والذي يمر علي النيل أثناء عودتها وكأنها تري النيل لأول مرة مع أنها تمر عليه طوال سنوات الدراسة، فنظرت إلى الشمس بأشعتها الذهبية وهي تغازل النيل مع منظر المراكب الراسية علي ضفافه، والتي تستعد للإبحار مع وقت العشاء وحركات مياه النيل في منظر بديع رائع.

ظلت ميرا تسترجع ما حدث معها في ذلك اليوم ولم تشعر بمسافة الطريق حتى وجدت الباص قد توقف حيث مكان نزولها فنهضت وأخذت حقيبتها ونزلت من الباص مسرعة باتجاه عمارتها حتى تنتظر عودة سامر من العمل وصعدت سلم العمارة وهي تغني فرحة

ولما وصلت إلى شقتها وضعت حقيبة يدها وكتبها علي المنضدة ودخلت لتغسل يديها ووجهها وتناولت الطعام وأعدت النسكافيه ووقفت عند نافذة غرفتها مترقبة وصول سامر من عمله كأنها طفلة صغيرة تنتظر قدوم والدها محتضنة كوب النسكافيه بيديها نحو صدرها الذي يهتز بسرعة ضربات قلبها وخفقانه ورشفت منه رشفات رقيقة بشفتيها الملتهبتان.

وكان سامر أيضاً يسابق الزمن حتى يصل إلى التليفون لسماع صوت ميرا، ولما اقترب موعد وصول سامر خفق قلب ميرا وحدقت بنظرها في الشارع حتى دخل سامر شارع البنك الذي توجد به عمارة ميرا وعمارة سامر، ورفع نظره نحو عمارة ميرا وهي ترقص من الفرحة بوصول حبيبها واهتزت يديها حتى سقطت قطرات من النسكافيه علي جانب من ذقنها فبدت كأنها طابع حسن مع وجهها المتورد الجميل.

ودخل سامر شقته ووضع حقيبة اللاب توب علي الكرسي وغير ملابسه ودخل الحمام وغسل يديه ووجهة وأعد سندوتشاً ومشروباً ساخناً وخرج إلى بالكونة غرفته ومعه التليفون وخفق قلبه بشدة عندما رآها خلف نافذة غرفتها فاتصل بها فردت مسرعة حيث كانت متأهبة لذلك منتظرة رنته وقالت أهلا حبيبي.

سامر:

صغيرتي وملاكي الجميل لقد كان يوماً رائعاً ومختلفاً بكل أحداثه لكنه كان طويلاً لبعدي عنك كل هذه المدة.

ميرا:

حبيبي سامر كان يومي أسطورياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وكنتُ كملكة متوجة وسط الجميع في هذا اليوم أخذتُ فيه بنصائِحك الذهبية وتذكرتُ كل كلماتك معي والتي ساعدتني كثيراً علي تجاوز هذا اليوم بكل ما فيه بسلام.

سامر:
أنت ملكة حقاً يا ميرا.

ميرا:
شكراً لك يا حبيبي أنت داعم حقيقي لي ولك فضل كبير في كل ما أنا فيه وكنتَ أمامي دائماً والتزمتُ الصمت في أغلب الأوقات كما قلتَ لي.

سامر:
كم أنت رقيقة وجميلة أيتها الملكة المتوجة علي مملكة قلبي.

ميرا:

هل تعلم يا سامر أن سعادتي اليوم وأنا بالجامعة كانت كبيرة جداً، كلما نظرتُ لملابسي وأتذكر أنك من اخترتها لي لدرجة أنني شعرتُ بها تحتضنني، كما أنني كنتُ أشم فيها دفء أنفاسك وحنين كلماتك.

سامر:

رفقاً بقلبي الضعيف يا ميرا فلم يعد يتحمل.

ميرا:

حقاً أنت صاحب قلب كبير يا سامر مليء بالحب وأسراره وموجاته وهالاته التي تشع نوراً وجمالاً.

سامر:

من تكوني أيتها الحورية الجميلة؟ لقد تحولت حياتي معك إلى جنة غناء.

ميرا:

أنا حبيبتك وكفاني بذلك وصفاً لي.

سامر:

إنني أشعر ولأول مرة بهذا الجوع الشديد أريد أن أتناول أي شيء من الطعام سأذهب لأحضر شيئاً آكله أو مشروباً لأشربه.

ميرا:

انتظر يا سامر لا تذهب الآن.

سامر:

لن أتأخر سأحضر مشروباً ساخناً فقط.

ميرا:

حبيبي قلت لك لا تذهب أرجوك أنني أحتاج إلى الحديث معك انتظر معي لحظات من فضلك.

سامر:

لا أفهمك يا ميرا سأنتظرك يا حبيبتي.

ميرا:

هل رن جرس باب شقتك؟

سامر:

لا لم يرن انتظري لقد رن الآن من الذي يرن الجرس؟ وكيف عرفتِ ذلك؟

ميرا:

افتح يا حبيبي لقد وصل.

سامر:

من هو الذي وصل؟

ميرا:

الطعام الذي أعددته لك بالهناء والشفاء يا حبيبي، سأنتظرك بعد أن تنتهي من طعامك سلام يا حبيبي.

اندهش سامر من تلك المفاجأة الغير متوقعة بالمرة وقال لها: سلام يا ميرا.

هل يعقل هذا؟ أنا لا أصدق ما يحدث إنها مفاجئة جميلة حقاً لقد أتت في موعدها المناسب ويبدو أن الطعام لذيذ جداً فالرائحة التي تخرج منه تدل علي ذلك.

دخلت ميرا غرفتها حتى ينتهي سامر من طعامه ووقفت أمام المرآة الموجودة في تسريحة غرفتها أمام سريرها وهي تنظر لنفسها بإعجاب علي غير عادتها، فقد كانت لا تحب النظر في المرآة إلا نادراً، وأخذت تتلمس وجنتيها بيديها الناعمتينن وتبتسم ابتسامة رقيقة بشفتيها الحالمتين، وتتمايل وكأنها ترقص بجسدها الممشوق، ثم أرخت قدها المياس وأخذت نفساً عميقاً وتنهدت ونامت علي السرير في استرخاء تام وانسيابية شديدة وهي تفكر فيما حدث لها مع سامر بتلك الصدفة وقصة حبهما العجيبة والتطور السريع لأحداثها بصورة لا تخطر علي بال أحد.

وبدأ سامر في تناول الطعام الذي أرسلته له ميرا وكأنه يأكل لأول مرة من فرط حلاوة مذاقه، حتى أنه ظل يقبل الأطباق الجميلة الموضوع عليها الطعام ويتذكر ميرا وصورتها التي لا تفارق خي

إله وأحس سامر بسريان طعمه في جسده حتى انتهى من تناول الطعام ثم قام ليغسل تلك الأطباق، ثم أسرع ورفع سماعة التليفون وطلب ميرا وظل جرس التليفون يرن وميرا لا تزال في نومها العميق، وبعد تكرار الطلب من سامر الذي كان متلهفا للتحدث مع ميرا عن الطعام الذي أرسلته له انتبهت ميرا من نومها ومدت يديها ورفعت السماعة وهي محتضنة التليفون ثم قالت: حبيبي سامر معذرة لقد كنت نائمة هل انتهيت من طعامك؟

سامر:

إن طعامك هذا موضوع كبير بمذاقه الخاص الذي لم أتذوق مثله من قبل، ما هذا الجمال وما هذه الروائح الجميلة وما هذا تنسيق الرائع للطعام والأطباق والسلطات والمخللات والحلوي، شكراً جزيلاً حبيبتي ميرا الجميلة وسأقول لك جملتي المفضلة دائماً:

(ياسلاااااااااااااام أما أكلة).

ميرا:

ماذا تقول يا سامر؟

سامر:

اقول: (يا سلاااااااااام أما أكلة) بالمد هكذا وهي كلمة ملازمة لي أقولها دائما عند تناول الطعام في أي مكان وأمام أي شخص أو مجموعة عند تناول الطعام.

ميرا:

كلمة جميلة حقاً (يا سلاااااااااام أما أكلة) ويبدو أنها تساعد من يسمعها علي تناول الطعام براحة واستمتاع، ألهذه الدرجة يا سامر كان الأكل جميلاً؟

يبدو أنك كنت جائعاً جدا.

سامر:

نعم كنت جائعا جداً وقد أتى في موعد مناسب للغاية لكن ليس هذا هو السبب فقط في كونه جميلاً إن الطعام فعلاً جميل جداً ولذيذ وشهي سلمت يداك يا حبيبتي.

ميرا:

حبيبي سامر يبدو أنك لم تأكل أكل بيتي منذ فترة طويلة.

سامر:

نعم إنها حقيقة يا ميرا لقد سرى الطعام في جسدي وروحي وعقلي وكأنه شفاء داوى جوع بطني وروحي فقد أُرسل من عند طبيبتي ومحبوبتي.

ميرا:
بالهنا والشفا يا سامر.

سامر:
كيف جاءت لك تلك الفكرة المجنونة بل والرائعة التي أسعدتني كثيراً.

ميرا:

كانت أمي تقوم بعمل أشياء مثل ذلك مع والدي عندما يذهب لعمله بمحافظة أخرى لمدة يوم أو يومين.

سامر:

هل كانت ترسل معه مثل هذا الطعام الذي أرسلتيه لي أرز ولحم وخضار وحلوي؟

ميرا:

أضحكتني حبيبي، لا ليس هكذا بالضبط، لكنها كانت تضع له بعض المخبوزات المحشوة بالجبن أو العجوة التي كانت تصنعها بيديها وكانت ذات طعم جميل جداً.

سامر:

رحمها الله رحم واسعة وأنت شبيهتها وهذا من حسن حظي يا ميرا.

ميرا:

كم أود أن أفعل لك أكثرمن ذلك وأن أكون بجانبك أتنسم هواك وأستمد نشاطئ وقوتي وحيوتي بوجودي معك وأتلمس جوارحك

وأستشق عبير كلماتك وأرتمي علي صدرك ياحبيبي ولا أتركك لحظة واحدة.

سامر:

كم أنتظر تلك اللحظة التي تجمعنا سوياً في بيت واحد.

ميرا:

بل أنا التي أنتظرهذا اليوم بفارغ الصبر فقد ملَكتِ عقلي وقلبي وروحي وكل كياني.

سامر:

قريباً إن شاء الله يا ميرا، إن ظني بالله جميل ودائماً أطلب من الله تعالى أن يحقق أملنا ويدبر لنا أمرنا.

هل لي أن أسألك كيف تعرف والدك علي والدتك؟

ميرا:

كان أبي وأمي زميلين بكلية التجارة وكان الأمرعادياً في العام الأول والثاني، يتبادلان كشاكيل المحاضرات وغير ذلك مثل باقي الزملاء، حيث كانت أمي ملتزمة بالحضور أما أبي فكان يعمل أثناء دراسته لينفق علي نفسه وتعليمه.

سامر:

وماذا حدث بعد ذلك؟

ميرا:

كانت أمي تعطي أبي المحاضرات التي فاتته ولم يتمكن من حضورها، فهي كانت خدومة بطبعها تحب مساعدة زميلاتها وزملائها جميعاً قدر استطاع تها.

سامر:

يالها من ست عظيمة أكملي يا ميرا.

ميرا:

وفي العام الثالث من الكلية انتبه أبي لأسلوبها الجميل وعطائها الكبير التي لا تنتظر عليه مقابل فتعلق قلبه بها لكنه لم يحدثها في بادئ الأمر.

سامر:

ومتي أخبرها بذلك؟

ميرا:

في السنة النهائية من الكلية صرح لها والدي بحبه لها وأنه يريد أن يتقدم لخطبتها.

سامر:
وهل كانت تبأدلة نفس الشعور أم أن ذلك كان من طرفه فقط؟

ميرا:
لقد سألنا أمي نفس السؤال فكانت تقول: إن والدكما كان جميلاً وراقياً ومحترماً وكان محل نظر لكثيرمن الزميلات بالكلية، وكانت تتمني لمن ترتبط به أن يكون مثله في احترامه وشهامته.

سامر:

إنها قصة حب من القصص الجميلة الراقية.

ميرا:

كانت أمي تحب الحديث عن ذلك كثيرا معنا وتفتخر بأنها هي التي فازت بقلبه، وعندما نسأل أبي يقول: كانت أجمل نساء الجامعة أنوثة ورقة واحتراماً، وقد تقدم بالفعل إلى أبيها ليطلب يدها وتم الاتفاق علي الزواج بعد انتهاء السنة الدراسية وكان قد كون مبلغاً من المال يستطيع من خل إله أن يدبر أمر زواجه.

سامر:

هل كانت تعمل معه بعد ذلك؟

ميرا:

في البداية كانت تعمل بعد التخرج لمدة قصيرة، حتى جاءتها بعض المشاكل الصحية التي منعتها من الخروج للعمل، وظلت تحت العلاج والمتابعة فترة طويلة وبعد أن تم علاجها طلب منها أبي أن تعود لعملها لكنها فضلت أن تعمل من البيت؟

سامر:

وماذا كانت تعمل.

ميرا:

كانت منذ صغرها تحب العمل اليدوي مثل عمل المفروشات اليدوية الجميلة بالكورشيه وكانت تصنع منه أشكالاً رائعة غاية في الإتقان، لدرجة أنها فكرت في بيعها وكانت تدر منه دخلاً ليس بسيطاً، لقد عرفت الآن القصة كاملة يا سامر فماذا عن قصة زواج والديك؟

سامر:

إنها قصة زواج تقليدية حيث أن أبي بن عم لأمي، وبحكم أنهما من عائلة واحدة كان كل منهما يعرف الآخر معرفة عادية بحكم القرابة.

وفي يوم من الأيام تقدم أبي وأهله لخطبتها، وتم الزواج التقليدي ثم بدأت قصة حبهما الكبيرة بعد الزواج.

ميرا:

وماذا بعد؟

كنا دائما نري أبي يقدر أمي كثيراً ويحترمها ولا يثقل عليها في شيء، ودائماً يحافظ عليها وكان المنزل مليء بالحب والوئام والسلام، وبالنسبة لي فقد افتقدتُ هذه الأجواء كثيرا بعد فقدهما مما كان له كبير الأثر فيما وصلت إليه حالتي من الوحدة والعزلة والاكتئاب لعدم وجود تلك الأجواء فيمن هم حولي.

ميرا:

هل وجدتَ مثل تلك الأجواء؟ أم لاتزال تفتقدها حتى الآن؟

سامر:

حبيبني وقرة عيني ميرا لقد استعدتُ معك كل تلك الأجواء بجمالها وبهجتها.

ميرا:

حبيبي سامر كم أحبك كثيراً.

سامر:

إنها الحقيقة يا ميرا لقد عاد إلى نشاطئ واستعدتُ حيوتي كاملة بسبب حبي لك، حتى أنني بدأت أذهب للمسجد أكثر من مرة في اليوم بخلاف ما كان يحدث مني قبل ذلك حيث كنت أصلي الجمعة

فقط وأذهب في آخر كلمات الخطبة، وبدأتُ أيضاً أجلس مع الناس والجيران وأتحدث معهم وكانوا مندهشين جداً مما يحدث.

ميرا:

أنا محظوظة جداً بقلبك الجميل هذا.

سامر:

هناك أيضاً موضوع آخر أود أن أخبرك به.

ميرا:

وما هو هذا الموضوع؟

سامر:

يوجد بالشارع الموازي لشارع البنك امرأة عجوز تبيع الفجل والجرجير وترعي أولاد ابنها الصغار حيث توفى أبوهم وهم صغار، وأمهم ترقد في البيت مريضة لا تتحرك ولا تقوي علي العمل، كنت قد رأيتها أثناء عبوري من ذلك الشارع، وبالسؤال علمتُ أن هذه المرأة تسعي بمفردها جاهدة لتنفق عليهم من رزق حلال، فذهبتُ إليها وخصصت لها مبلغاً من المال تنفق منه علي أحفادها وأمهم، كما أحضرتً لها بعض الأشياء لتبيعهم بجوار مسكنها دون مشقة أو معاناة وعاهدتُ نفسي أن أتكفل بخدمتها هي وأحفادها وأمهم المريضة.

ميرا:

أريد أن أشترك معك ضروري في هذا العمل الجميل يا سامر بالجهد والمال وأريد ان أذهب إليها.

سامر:

إن شاء الله نرتب ذلك.

ميرا:

ألم أقل لك بأنني محظوظة بك.

سامر:

هذا طلب جميل منك يا ميرا فأنت تحبين المشاركة في مثل تلك الأعمال العظيمة في الخفاء، وسأرتب ذلك معك إن شا الله.

ميرا:

شكراً حبيبي سأنتظر ذلك اليوم.

سامر:

إن حبك يا ميرا جعلني أري الأشياء وألاحظ ال أمور بعين مختلفة وبقلب مليء بالرحمة والحب والشفقة، ولقد أتت ميرا حبيبتي وحولتني من شخص مكتئب منعزل وحيد عديم الفائدة إلى شخص

فعال يخدم من حوله، يحب الخير وينشره أينما كان، وينظر للحياة نظرة مختلفة عن ذي قبل، نظرة كلها تعاون ومحبة للناس جميعاً.

ميرا:

ألم تقل لي قبل ذلك إن للحب أسرار عظيمة وقوة رهيبة وثماراً وفيرة وفوائد كبيرة، فسبحان مقلب القلوب ومصرفها إنها قدرة الله تعالي فالحمد لله رب العالمين.

سامر:

وبدأتُ أنظر لنفسي وما أفعله الآن، وندمتُ كثيراً علي ما فات من أيامي وسنواتي الماضية دون عمل مفيد مثل تلك الأعمال التي أخدم فيها الناس من حولي، قدر استطاعتي كما ندمتُ علي عدم ادراكي للحب قبل ذلك فهو أمر عظيم لا يضاهيه شيء آخر فمن فاته الحب فاته كل شيء.

ميرا:

أتمني أن نستمر في ذلك يا سامر مهما كانت الظروف والأحوال، ولا نترك تلك المكتسبات أبداً بل نزد فيها وأكثر ونعمل علي نشر التفاؤل والأمل في كل مكان، ونقول دائماً:

اللهم اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري.

سامر:

رحم الله سيدي بن عطاء الله السكندري حيث ذكر ذلك في حكمه.

ميرا:

آه يا سامر من تلك اللحظات التي أعيش فيها علي أمل أن تتحقق معك،

فإن البعد عنك أصبح يمثل لي عذاباً شديداً.

بعيد عنك حياتي عذاب (١)
ماتبعدنيش بعيد عنك
ماليش غير الدموع أحباب
معاها بعيش بعيد عنك.

سامر:
غلبني الشوق وغلبني
وليل البعد دوبني

---

(١)أغنية (بعيد عنك) - كلمات مأمون الشناوي - ألحان بليغ حمدي

ميرا:

هل تعلم يا سامر أن حبي لك جعلني محبة لكل من حولي من جماد ونبات وحيوان وجميع المحيطين بي من الناس، وأحب الخير للجميع وأصبحتُ أحب الكون بما فيه ومن فيه، فأجد نفسي تترفق مع القطط والكلاب والطيور والأشجار والنباتات والزهور والأنهار والبحار والسماء والسحاب، لا أجد في قلبي كره لشيء وهذا إحساس عظيم رائع يساعدني كثيراً علي تحمل بعدي عنك ياحبيب قلبي.

سامر:

لقد ظهرت ثمار الحب الحقيقي علي كل منا يا ميرا إن ما ذكرتيه حقيقة وهو من ثما ر الحب التي لا حصر لها، فأنا أيضاً أشعر بالتغير الكبير الذي حدث معي منذ أحببتك يا ميرا أصبحت الحياة أحلى واختلفت نظرتي للأشياء من حولي وتغافلت عن كثير من ال أمور التي كنت أحسبها هامة أنظر إليها أجدها أمورا تافهة لا قيمة لها أمام عمق هذا الحب وفلسفته وثماره التي نجنيها يا ميرا.

ميرا:

حتي الحيوانات التي كنت أبتعد عنها وأخاف من القرب منها أصبحت تقترب مني دون خوف وتتمسح بي، وكأنها شعرت بذلك التحول والتغيير الذي حدث لي، وهو أمر أدهشني جداً،

هل للحب كل هذه الطاقة والقوة والهالة التي تمغنط المكان كله بما فيه حتى وصلت لكل ما فيه وغيرته أيضاً، يا له من شيء عظيم وسر كبير، وصَدَق من قال إن الحب هو من أعظم ما نزل من االسماء إلى الأرض.

سامر:

نعم هو سر كبير يا ميرا أخبريني كيف أُرسل لك الأطباق والملاعق التي أرسلتيها.

ميرا:

لا يا حبيبي فهي هدية مني لك حتى تتذكرني دائماً كلما تناولت فيها طعامك.

سامر:

يبدوا أنهم ذات قيمة عالية.

ميرا:

نعم هذه الأطباق من أحب الأشياء لدي وهي ذات قيمة كبيرة عندي ولقد أحضرهم أبي من فرنسا في إحدى رحلاته للعمل وقد أرسلتها لك وعليها قبلاتي وأحضاني وهذا أقل شيء يمكن أن أرسله لك.

سامر:

يبدو أنني فهمت الرسالة وأحسست برد أناملك عليها ودفء أحضانك ولهيب مشاعرك فقابلتهم بالقبلات والأحضان، نعم يا ميرا لقد احتضنتهم وأنا مغمض العينين وكأنك معي بين ذراعي أتنسم عبير هواكِ.

ميرا:

ماذا عن لوحتي الكبيرة هل فكرت في حيلة لكي أراها؟ أنني أفكر فيها كثيراً وأود أن أراها وتشرح لي كيف أتممتها دون ان أكون معك.

سامر:

لقد أخبرتك من قبل بأنها مثبتة علي الجدار في الشقة وهي بالحجم الكبير، سأصفها لك يا ميرا.

ميرا:

فكرة رائعة يا سامر سأنظر إليها من خلال وصفك لها، وسأستشعر خطوطك وإحساسك فيها بالحاسة السادسة بل بحاسة الحب التي هي أقوي بكثير.

سامر:

فلنبدأ يا ميرا إنها صورة علي لوحة كبيرة من الخشب المقوي ومثبتة علي الجدار في مدخل الشقة وهي بالحجم الطبيعي لك.

ميرا:

دعني أكمل لك الوصف بإحساسي بها سأغمض عيناي وأتخيلها انتظرني لحظات ها هي الآن أمامي أراها بوضوح جداً سأصفها لك الآن.

وبدأت ميرا في وصف اللوحة بكل تفاصيلها الدقيقة وتكمل مع سامر الوصف لدرجة يصعب تصديقها، جعلت سامر في دهشة كبيرة مما يحدث من ميرا حتى ظن أنها موجودة معه في نفس المكان وأخذ يلتفت حوله فلم يجد شيئاً.

سامر:

ما هذه الدقة الكبيرة في الوصف يا ميرا وكأنك قد شاهدتيها من قبل، أوأنك أنت من قمتِ برسمها إنه لشيء عجيب حقاً كيف يحدث هذا.

ميرا:

ألم تقل لي بأن للحب قوة رهيبة وثمار لا تحصي وأسرار عظيمة، فذلك سر من أسراره وثمرة من ثماره، لقد شاهدتها من خلال عينيك التي تنظر بهما الروح من داخلك، فانعكست الصورة الحقيقية لتلك اللوحة في عيني وشاهدها عقلي، فأعطي الإشارة إلى بذلك الوصف الحقيقي لها.

سامر:

أنت توأم روحي وملاكي الجميل الطاهر وروحي وعقلي، أنت الحب بكل أسراره أنت ميرا الرائعة.

ميرا:

أري أنك جملتني فيها كثيراً فهل ترأني حقاً هكذا؟

سامر:

لم أجمل فيها شيئاً مطلقاً بل هي ميرا ظاهراً كصورة لكن حقيقة ميرا أعمق من ذلك بكثير، ولا يستطيع كل من قلمي أو ريشتي التعبير الحقيقي عنها لأن ميرا بحر من الأسرار والمعاني والجمال والحب وستظل الحقيقة حقيقة والصورة صورة مهما كانت درجة الإبداع الفني للفنان ودقته في خطوط لوحته.

ميرا:

كم أنا سعيدة جداً بحبي لك وكونك حبيبي يا سامر جعل الكون من حولي جميلاً، فمتي اللقاء يا سامر؟ لم يعد في قوس الصبرمنزع (١) كما يقولون.

---

(١) (منزع) تقال عند نفاذ الصبر
مثل (لقد طفح الكيل) و (لقد بلغ السيل الزبي)

و(منزع) هو السهم ويقال: ما نفع القوس إن انتهت أسهمهن ولم يعد هناك ما يُرمي به

سامر:

قولي يارب.

ميرا:

يارب يارب.

سامر:

أخبريني يا ميرا عن رد فعل زميلتك إنجي بالجامعة.

ميرا:

لقد تملكها الذهول الشديد، وكأن علي رأسها الطير ثم بدأت وابلاً من الأسئلة المتتالية، وكأنها تستجوبني عما حدث من التغير المفاجيءن وكيف ومتي في وقت قصير جداً، وماذا عن تلك الطمأنينة والراحة والهدوء التي رأتهم علي وجهي وفي كلامي وردود فعلي المغايرة تماماً لما كان يصدر مني قبل ذلك .

سامر:

ألم أقل لك بأنك أجمل نساء الدنيا وأحلاهم وأطعمهم ولديك من الأنوثة والرشاقة والأناقة والمشاعر والأحاسيس ما لم يوجد في أنثي أخرى في هذه الدنيا.

ميرا:

كل هذا يا سامر أنت ترأني هكذا إن مراية الحب عمياء، ضحك سامر ضحكة جميلة وقال: بل هي أصدق مرآة، كيف يقولون أنها عمياء؟، هؤلاء لم يتذوقوا الحب ولم يقفوا أبداً أمام تلك المرآة ولو لمرة واحدة، لأن أحدهم لو ذاق ما ذقته لعرف ما عرفته، لكن أحداً منهم لم يُقدر له أن يذق من كأس الحب الذي شربنا منه، وهذه منة من الله تعالي علينا لأن شراب الحب هو أحلى الشراب، فهو يجعلنا نقف علي أعتاب الحب الحقيقي أليس ذلك حقاً يا ميرا؟

ميرا:

نعم يا حبيبي عندما ذقنا وشربنا من كأس الحب انتبه القلب لحب أكبر.

سامر:

الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف، كما في حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم.

ميرا:

آه يا سامر لقد تذكرتُ الآن ابتهالات الشيخ النقشبندي رحمه الله وهو يقول:

كم لله من لطف خفي يَدِقُ خفاه عن فهم الذكي (١)

وكم يسر أتى من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تساء به صباحاً وتأتيك المسرة بالعشي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالواحد الأحد العلي
ولا تجزع إذا ماناب خطب فكم لله من لطف خفي
وصل علي حبيب الله طه إمام المرسلين الهاشمي

سامر:

الله الله الله

ما هذه الكلمات الرائعة والمعاني السامية بالصوت العذب الندي الشجي التقي للشيخ النقشبندي وهو يصدح بها ليلاً ونهاراً وفي وقت السحر.

---

(١) الديوان لعلي بن أبي طالب

ميرا
ياغياث المستغيثين ويا جار المستجيرين
ويا أرحم الراحمين فرج كروبنا يارب العالمين.
أريد أن أخبرك عن شيء عجيب قد حدث معي بالأمس

سامر:

ماذا حدث يا ميرا؟

ميرا:

أثناء جلوسي في غرفتي أنظر من النافذة إذ بي أري عصفورين يقفان علي النافذة أمامي دون خوف أو ارتباك، ظننت أن ذلك شيء عابر لكنني فرحتُ بالمنظر جداً وبذلك الموقف وغمرتني سعادة كبيرةن ولم أتكلم أو أتحرك حتى لا أروعهمان ثم فوجئتُ بعدد آخر من العصافير يقف أيضاً علي النافذة حتى كثر العدد وغطوا النافذة كلها.

سامر:

وهل كان معك حبوب أو أي نوع من الطعام؟

ميرا:

لم يكن معي شيء للأكل أو حبوب أو ما شابه ذلك حتى أظن أنهم أتو من أجله.

سامر:
وماذا حدث بعد ذلك؟

ميرا:
مع حركتي وقيامي وصوتي لم يتحركوا، وكأني غير موجودة حتى ظننتُ أنهم لم يروننني لكني تحركتُ نحوهم فوجدت بعضهم يقف علي كتفاي ومددت يداي في دهشة وذهول من هذا الموقف، حتى وقفوا يلعبون عليهما وعلي رأسي ودخلت بهم للغرفة ووقفت بهم أمام المرآة أتأمل منظر العصافير عن قرب، وهي المرة الأولى في حياتي التي أشاهد فيها العصافير بكل تفاصيل شكلها منقارها الصغير وحركتها السريعة برقبتها واهتزازها المستمر وهم على رأسي وفوق كتفي حتى مشيت بهم داخل الغرفة.

سامر:

إنه لشيء عجيب فعلاً يا ميرا أكملي وماذا بعد؟

ميرا:

ظلت بعض العصافير تطير بالغرفة وهي فرحة ثم تعود إلى وكأني ذلك العُش الذي تعيش فيه تلك العصافير، ونظرتُ إلى لون أجنحتهم الرمادي وشكل أرجلهم الصغيرة ورفرفة ذلك الريش مع سماع صوت زقزقتهم الجميل.

سامر:

ومتي كان ذلك؟

ميرا:

كان ذلك في الصباح مع شروق الشمس بأشعتها الذهبية الدافئة وشقشقة الصباح والهوء الجميل، إلا من تلك الحالة والفرحة التي تحدثها العصافير مع انبلاج الصبح في مثل ذلك الوقت من كل يوم، وكانت لحظات غاية في الروعة والجمال كلوحة فنية بديعة لا تستطيع الكلمات وصفها علي الحقيقة من جمالها، وكأنهم يؤدون أدواراً رائعة في أوركسترا مع أحلى سيمفونية في الرقي والإبداع في مشهد مهيبن خصوصاً أنه حدث فجأة دون أي ترتيب أو مقدمات لذلك.

سامر:

ماهذا الجمال كأني أشاهد من خلال وصفك لذلك المشهد الرائع عرض مسرحية لأكبر كتاب المسرح وأقوي النجوم والممثلين علي خشبة المسرح.

ميرا:

هو فعلاً كما تقول يا سامر والعجب كل العجب كيف لتلك العصافير بخفة وزنها المعروف والتي لا تثبت في مكان ودائمة الحركة والطيران أن تفعل ذلك معي، إنه لأمر يحتاج إلى دراسة وتفكر وتدبر لتلك الظاهرة الفريدة من نوعها ولم أصدق ما أنا فيه ووددتُ

لو قبلتُ كل واحدة منهم واحتضنتهم جميعاًن وظل هذا الموقف إلى ما يقرب من ربع ساعة وكأني في حلم جميل لا أريد أن أستيقظ منهن ثم انصرفوا بهدوء وفرحة بصوت زقزقتهم الجميل وكأنهم عائدين من مهمة قد أتموها علي أكمل وجه.
بماذا تفسر ذلك يا سامر؟

سامر:

إنه لأمر عظيم يستحق التفكر والتأمل فعلاً، إن مثل هذا الأمر لم يحدث من قبل ولم أسمع به ويبدوا أن أسرار الحب بدأت تتسرب إليك وتتكشف لك وسنري العجب معك يا ميرا.

ميرا:

أحقاً هل يمكن أن يكون ذلك من أسرار الحب يا سامر كما يقولون؟

سامر:

هذا تفسيري الوحيد لهذه الظاهرة العجيبة التي أسمع بها لأول مرة يا ميرا، ويبدوا أننا سنرى منك الأعاجيب، فلنستعد لذلك فإن جدار الصمت قد انهدم وتحطم وظهر لنا بعض مما كان مخفياً خلف جدار الصمت طوال الفترة الماضية ولم يشعر به أحد من قبل.

ميرا:

مع هذا الموقف الذي كنتُ في أشد لحظات دهشتي وذهولي كان قلبي مطمأن وكأن الأمر طبيعي ومتكرر بالنسبة لي حتى أنني تعاملتً مع الموقف بكل راحة وهدوء.

سامر:

أنت أميرة قلوب الطير وأميرتي وأنت الملكة المتوجة علي ممكلة الطير وعلي قلبي، يا لسعادتي بحبك يا ميرا إن الحديث معك ذو طبيعة خاصة وحلو المذاق، ويضفي علي المكان هالة من الجمال والحب والمتعة والإثارة والتعجب.

ميرا:

أنا لا زلت غير مصدقة ما حدث معي يا سامر كان يوماً عجيباً بأحداثه التي وقعت فيه.

سامر:

هل حدث شيء آخر في ذلك اليوم؟

ميرا:

نعم لقد حدث موقف آخر بعد ذلك الموقف عندما خرجت من المنزل لأذهب للجامعة كالعادة، وكان أمرا عجيباً جداً جعلني في حيرة من أمري وكنت في ذهول شديد.

سامر:

أخبريني ياحبيبتي عن ذلك الموقف يبدوا أنه كان يوماً مليئاً بالأسرار.

ميرا:

كان هناك كلب ضخم موجود بالشارع وكنتُ أتحاشاه حيث أنه دائم النباح علي المارة، ففوجئتُ أنه لا ينبح مثل كل مرة واقترب مني فرجعتُ للوراء خوفاُ منه فوجدته يقترب أكثر ويهز ذيله وجسمه، وكأني صاحبته فاطمأننتُ بعض الشيء لكن علي حذر من أي تهور قد يحدث منه، لكن لم يفعل شيئاً وظل بجانبي وجلس علي رجليه الخلفيتين ماداً رجليه الأماميتين وهو ينظر إلى بكل حب وهدوء لدرجة أنني كنتُ علي وشك أن أمسح علي رأسه بيدي فوجدته هو الذي يتمسح بي فكنتُ مرتبكة جداُ وسعيدة في نفس الوقت بما يحدث بعد ان كنتُ مرعوبة وخائفة منه جداً قبل ذلك اليوم.

سامر:

إنه حقاُ أمر لا يُصدق وماذا حدث إنها قصة أغرب من الخيال.

ميرا:

عندما اقترب مني ونظرتُ إليه عن قرب لاحظتُ أن شكله جميل وشعره ناعم وكثيف ولونه رائع، ولاحظتُ نظرات المارة من حولي واندهاشهم بما يحدث حتى ظن البعض أنه كلبي بجلوسه بجانبي

وتمسحه بي وهدوءه معي وظل الأمر هكذا حتى جاء الباص وكم تمنيت في تلك اللحظة أن يتأخر الباص، ثم تحركت باتجاه الباص فإذا به يتحرك نحوي وكأنه يريد أن يتبعني في الباص وينظر إلى بكل حب ووفاء وكأنه يودعني وأنا في ذهول مما يحدث وبادلته النظرات بإعجاب شديد وامتنان كبير بما فعله معي، وأشرت إليه بيدي فهز ذيله بشدة وحرك رأسه أسفل وأعلى وظلت نظراته تلاحقني حتى غبتُ عنه، وأنا أشعر أني تركتُ شيئاً غالي عندي وظللتُ أفكر حتى الآن فيما حدث ولا أجد تفسيراً له، ويبدوا أن أجواء اقتراب شهر رمضان هي التي فعلت مثل تلك المواقف فنحن الآن في آخر شهر شعبان وما أدراك ما في هذين الشهرين من البركات والتجليات والنفحات خصوصاً اقتراب حلول شهر رمضان العظيم.

سامر:

كل عام وانت حبيبتي وبخير أنت كنز حقيقي يا ميرا ولك قلب كبير صادق متصاف مع الكون بكل أجناسه من نبات وحيوان وجماد وإنسان.

ميرا:

وانت بخير حبيبي سامر أنني أفكر كثيراً في حالك مع دخول شهر رمضان الكريم، وأتألم كثيراً عندما أفكر في أمر إفطارك وسحورك بمفردك وإعداد الطعام وغير ذلك من ال أمور الكثيرة التي يتطلبها شهر رمضان.

سامر:

لا تقلقي يا ميرا فهي ليست المرة الأولى التي أقضي فيها شهر رمضان بمفردي بعد وفاة كل من أبي أمي رحمهما الله تعالى، فهو يمر علي كغيره من الشهور علاوة علي ما فيه من صلاة التراويح والإعتكاف في آخر ثلاثة أيام لكن ما يسعدني كثيراً أن ميرا ستكون معي ووجودك بجواري وهو شعور مختلف جداً وسيكون بإذن الله أفضل من ذي قبل حيث سأستمد من حبك هذا القوة والنشاط والحيوية.

ميرا:

ما هذا الجمال أتعتكف لأيام ثلاث يا سامر بالمسجد؟

سامر:

نعم يا ميرا منذ عدة سنوات وأنا أعتكف في شهر رمضان.

ميرا:

انت جميل يا سامر إن لكلماتك سحر وعمق تغازل مشاعري وتخاطب وجداني وتغزو ميدان قلبي بسهام عباراتها، حتى استوليت عليه كاملاً ولم يعد لي سلطان عليه إلا من خلالك أنت يا سامر، وكم أتمني ان يأتي شهر رمضان وانا معك وأنت معي بجانبي أستنشق هواء أنفاسك المنعشة وأشعر بدفء كلماتك الرقيقة.

سامر:

كم أتمني ذلك يا ميرا من كل قلبي.

ميرا:

أريد ان أجهز لك سحورك وإفطارك وأجهز لك الكنافة والقطايف والخشاف وغير ذلك من أكلات ومشروبات رمضان الجميلة، وأرتب لك ملابسك وأنظف غرفتك التي أتمني رؤيتها وأرتب سريرك وكل أمور حياتك اليومية.

سامر:

فلندع الله تعالى يا ميرا أن يجمع بيننا بالخير في ليالي شهر شعبان المباركة قولي معي يا ميرا: **اللهم اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري.**

ميرا:
اللهم اغنني بتدبيرك عن تدبيري وباختيارك عن اختياري.

سامر:
إن ما نحن فيه الآن كان حلماً جميلاً يصعب تصور تحقيقه، وهو الآن أمر واقع ملموس يا ميرا.

ميرا:
رفقاً بحالك يا حبيبي إنها مكافأة من الله لنا لما علمه من صدقنا في الحب.

سامر:

الحمد لله رب العالمين.

ميرا:

خطر ببالي سؤال غريب الآن يا سامر فلا تضحك منه.

سامر:

تفضلي يا ميرا ما سؤالك المضحك هذا؟

ميرا:

كيف يكون حالك وأنت نائم؟ معذرة في السؤال.

سامر:

لا أفهم ماذا تقصدين يا ميرا؟

ميرا:

أقصد هل تنام بصورة عشوائية مثلي دون وضع معين حيث أتقلب كثيراً في السرير تجدني مرة أنام علي وجهي ومرة علي ظهري ومرة أتكور علي نفسي ومرة متمددة الأطراف وهكذا فأنا دائمة الحركة في نومي.

سامر:
الأمر معي يختلف تماماً عنك يا ميرا فأنا أنام في وضعية واحدة، وعلي جنب واحد وإذا حاولت تغيير هذا الوضع لم أتمكن من النوم ولا يأتيني النوم إلا إذا اعتدلتُ في الوضع المحبب إلي.

ميرا:
من الواضح أنني ساتعبك كثيرا عندما أنام بجانبك، ماذا أقول معذرة جداً لم أقصد هذا المعني.

سامر:

لا عليك يا حبيبتي لا تبكي يا ميرا فأنا أتفهم كلامك جيداً وماذا تقصدين أرجوك لا تبكي بهذه الطريقة إن صوت بكائك وآهاتك يقتلني اهدأي يا حبيبتي أما زلت تبكين يا ميرا جففي دموعك من فضلك.

ميرا:

معذرة مرة أخرى يا سامر إن ما دفعني لقول ذلك هو أن عقلي أصبح لا يتصور أن هناك أي نوع من الحواجز بيننا فقد امتلكتَ عقلي وكل كياني وتكسرت كل قيودي معك وتهدم جدار صمتي وزال خجلي منك، فلم أعد أتصور أن هناك شيء ممنوع بيننا وقد وصل قلبي لمرحلة لا يعترف فيها بوجود تلك الحواجز والحدود بيننا بعد العبور الذي عبرته معك لجدار صمتي الرهيب الذي كان كامنا بداخلي.

سامر:

حبيبتي ميرا أنني أفهم كل كلمة وكل إشارة منك، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لظروفنا الإستثنائية فكوني علي ثقة أن كل ذلك سيتحقق قريباً إن شاء الله ويكون اللقاء المرتقب الذي أنتظره أنا وأنت يا أجمل ميرا في الكون.

ميرا:

إن حبي لك أفقدني السيطرة علي عقلي والتحكم فيما يخرج مني من كلمات، قد لا تكون في موضعها المناسب لقد ضغت عواطفي علي عقلي يا سامر.

حبك ياحبيبي ملا قلبي وفكري (١)

بينور ليلي ويطول عمري

بيزيد بيزيد في غلاوته دايماً بيزيد

وتملي جديد في حلاوته تملي جديد

سامر:

حبيبتي ميرا كم أحبك جداً.

---

(١)أمل حياتي – كلمات/ أحمد شفيق كامل – ألحان/ محمد عبد الوهاب –غناء/ أم كلثوم

هل ستذهبين للجامعة غداً؟

ميرا:

نعم يا حبيبي سأذهب إن شاء الله.

سامر:

سأختار لك الطقم الذي أحب ان أراك به.

ميرا:

فكرة رائعة أنا أحب ذلك جداً كنت سأخبرك بذلك

لكنك سبقتني هيا قل لي ماذا تريدني أن ألبس غداً.

سامر:

لديك شروال أسود وقميص أبيض.

ميرا:

نعم لقد فهمت ما تقصده سأخرجه الآن مع الشنطة، إن اختياراتك لي تجعلني أشعر أنني أرتدي تلك الملابس لأول مرة، وهو شعور جميل جداً سأفعل ذلك كل مرة حبيبي سامر لقد عاد إلى هدوئي بأسلوبك الرقيق الراقي وكلماتك الحانية وهمساتك الدافئة، وأريد أن أخبرك بأمر هام بخصوص سفر والدي.

سامر:

أسمعك يا ميرا.

ميرا:

إن أبي سيسافر سفر عمل قريباً.

سامر:

أعلم ذلك منك أنه دائم السفر بطبيعة عمله.

ميرا:

إن الأمر مختلف هذه المرة.

سامر:

ماذا تقصدين؟

ميرا:

إن والدي أخبرني أنه سيسافر لمدة شهر تقريباً في مهمة عمل إلى بلد أوربي، ويريدني أن أذهب معه، وأنت تعلم كما أخبرتك من قبل أنني كنت أسافر معه في بعض رحلاته لكن ليست مثل هذه المدة الطويلة، وكان الأمر سيكون عادياً قبل وجود سامر حبيبي في حياتين أما الآن فلم يعد الأمر كما كان، ولم يكن من السهل علي أن أسافر هذه المدة الطويلة وأنت بعيد عني يا سامر.

سامر:
ولا سهل علي أيضاً يا ميرا إنها فعلاً مدة طويلة جدا.

ميرا:
إن أبي يخشى أن يتركني بمفردي كل هذه المدة، وقال لي بأنها فرصة لكي أخرج مما أنا فيه من عزلة ووحدة كما أن فيها مجال للفسحة والتسوق.

سامر:
وإلي أين ستكون الرحلة هذه المرة؟

ميرا:

قال لي بأن السفر هذه المرة سيكون إلى هولندا، ولقد سافرت معه قبل ذلك رحلات قصيرة كانت المدة أسبوع تقريباً أو أقلن فكانت مدة السفر ليست طويلة حيث كانت البلاد التي كنت أسافر معه إليها تستغرق من ساعتين لثلاث ساعات مثل دول الخليج وغيرها.

سامر:

وكيف ستدبرين أمر دراستك بالجامعة فالمدة طويلة وقد تؤثر بالسلب علي دراستك وامتحاناتك.

ميرا:

هذا أمر تعودنا عليه مراراً حيث أن أبي يحضر لي تذاكر السفر وطلب مكتوب به الغرض من السفر من الشركة التي يعمل بها،

وأقوم بتقديمها إلى الجامعة وأخذ الموافقة بكل سهولة عل المدة التي أطلبها.

سامر:

إنها مدة كبيرة يا ميرا، معنى ذلك أنك ستقضي معظم شهر رمضان هناك مع أن رمضان في مصر يختلف بأجوائه عن أي مكان بالعالم أليس كذلك.

ميرا:

نعم هو كذلك يا سامر، وهل في ذلك شك لذلك أحببت أن أخبرك حتى ندبر أمرنا وأتمنى أن نجد حلاً لذلك.

سامر:

ومتي السفر يا ميرا؟

ميرا:

بعد يومين غالباُ وقد فوجئ أبي أيضاً بهذه الرحلة، وخصوصاً أنها جاءت مع بداية دخول شهر رمضان، وأبي يفضل دائماً أن يقضي رمضان بمصر فهو مختلف تماماً عن أي مكان آخر، لكن قل لي يا سامر ماذا تريد من هناك غير الهدايا الخاصة التي أنوي أن أحضرها لك.

سامر:

أمنيتي الوحيدة أن تعودي إلى وأنت في صحة وعافية.

ميرا:

سأحضر لك هدايا علي ذوقي أنا.

سامر:

هديتي عودتك يا ميرا وأنا لا أدري كيف ستمر هذه الأيام الطويلة وأنت بعيدة عني.

ميرا:

هذا ما أفكر فيه كثيراً ويشغلني وتؤلمني جداً فكرة البعد عنك كل هذه المدة، ولأبد من وجود حل سريع يا سامر، فالأمر ليس سهلاً مطلقاً، فلا أتصور يوماً واحداً وأنا بعيدة عنك فكيف بشهر أو أكثر.

سامر:

استمتعي برحلتك يا ميرا وسيدبر الله لنا الأمر.

ميرا:

إنه طلب صعب جداً حبيبي كيف تطلب مني ذلك يا سامر، إن اللحظة التي تغيب عني فيها يكون حالي غير الحال.

سامر:

أنت معي دائماً يا ميرا وفي قلبي، ولم تكن المسافات أبداً عائقاً علي تواصل قلب كل منا مع الآخر.

ميرا:

وأنت أيضاً يا حبيبي صورتك لا تفارق خيالي وحبك قد ملأ قلبي وكياني كله، فهو كامن متغلغل بين جوارحي، ومع كل ذلك فإن فكرة سفري في مكان بعيد عنك تؤلمني بشدة، لقد عاد والدي يا سامر فهو يرن الجرس الآن ويبدو أنه أحضر معه حقيبة السفر التي طلبتها منه سأذهب لأرتب الحقيبة.

سامر:

تفضلي يا ميرا.

ميرا:

لا تنسي نفسك في الطعام اعتني بنفسك يا حبيبي.

وذهبت ميرا لتفتح الباب لوالدها وسلمت عليه وحضنته بشدة وقبلها علي جبينها وأخذت منه الحقيبة والأشياء التي أحضرها للسفر، وذهبت إلى غرفتها تجهز ملابسها وجلست ترتب الحقيبة وهي تفكر في سامر وأحواله، وجاء والدها وطلب منها أن تضع بعض الأوراق التي يحتاجها معه ثم قال لها: إن مرام أختك طلبت مني

بعض الأشياء من هولندا وأخبرتني بأن أؤكد عليك ذلك اكتبي تلك الطلبات حتى لا ننساها.

ميرا:

أعرف ما تطلبه مرام يا أبي لا تقلق فهي دائماً تطلب هدايا معينة وبرفانات مخصوصة وبعض الملابس لا داعي للقلق يا أبي فهذه ليست أول مرة.

وذهب سامر إلى لوحته المثبتة علي الجدار ونقل مكتبه أمام لوحة ميرا حتى تكون أمام عينيه وهو يعمل، وبدأ في العمل وأمامه كوبا من الشاي وهو يشعر بنسيم ميرا يملء المكان من حوله وصورتها أمامه علي الدوام وصوتها يرن في أذنه.

ورن جرس التليفون عند ميرا لكنها لم تسرع مثل كل مرة للرد وكأنها تعلم أن من على التليفون ليس سامراً، وبالفعل كانت أختها مرام هي التي تطلبها وعندما رفعت سماعة التليفون قالت لها مرام: اين أنت يا ميرا؟

ميرا:

كنت أرتب الحقيبة وأوراق أبي لا تقلقي لقد كتبتُ كل ما طلبتيه من أبي.

مرام:

ماذا كتبتِ؟ هيا أخبريني فأنا أعلم بعدم رغبتك في شراء مثل هذه الأشياء وأنك دائماً تنسين ما أطلبه منك كعادتك.

ميرا:
لقد كتبتُ الهدايا والبرفانات والملابس وغير ذلك.

مرام:
أرجوك لا تنسي وركزي هذه المرة في نوعية الأشياء التي طلبتها منك.

ميرا:
أنني هذه المرة مهتمة جداً بشراء بعض الهدايا لذلك سأتذكر جيداً ما تحتاجينه يا مرام فلا تقلقي هذه المرة ليست كالمرات السابقة.

مرام:
شكرا أختي حبيبتي لكن لمن هذه الهدايا يا ميرا؟، فأنت لم تكوني مهتمة مطلقاً بذلك وكنتِ تنتقدينني عندما أطلب ذلك منك أو من أبي.

ميرا:
هذه المرة تختلف عن كل مرة هل في ذلك شيء يا مرام؟

مرام:

لا يا حبيبتي هذا أمر يسعدني كثيراً، ولطالما تمنيته لكني كنت أتساءل فقط عن التغير المفاجيء هذا علي العموم استمتعي برحلتك يا ميرا واشتري كل ما يحلو لك.

ميرا:

دعكِ من كل هذا وتعالي بسرعة حتى ننتهي من ترتيب حقيبة السفر وأوراق أبي الكثيرة، وأخشيء ان أنسي شيئاً منها فقد أكد لي أبي علي أهميتها معه في سفره لضرورة عمله ولا تنسي أن تأتي ومعك الأولاد.

مرام:

لماذا الأولاد يا ميرا سيشغلوننا والوقت ضيق.

ميرا:

نسلم عليهم ثم يعودوا مع مالك.

مرام:

لا بأس حبيبتي سنأتي الآن أنا ومالك والأولاد.

ميرا:

أنا في انتظارك يا مرام لا تتأخري.

ولما وصلت مرام هي ومالك وأولادهما لمنزل أبيها سلمت ميرا بسرعة علي والدها ثم دخلت وجلست تجهز الحقيبة مع ميرا وسألتها هل وضعت ملابسك التي تحتاجينها يا ميرا؟

ميرا:

لا يا مرام هذا ما أخذته معي فقط.

مرام:

هذان فقط يا ميرا؟

ميرا:

نعم وسأشتري بعض الملابس من هناك فقد أردتُ التغيير في شكل ملابسي عن ذي قبل ولقد أخبرتُ أبي بذلك فوافق.

مرام:

إن أمرك غريب يا ميرا هذه الأيام ولا أستطيع أن أفهمك.

ميرا:

ألم تطلبي مني مراراً أن أكون هكذا وأن أغير من أسلوبي وطريقتي في ارتداء ملابسي وغير ذلك.

مرام:

نعم طلبتُ منك كثيراً لكن ما يدهشني أن ذلك أتي فجأة وبسرعة دون أي مقدمات، وهذا ما جعلني أتساءل هل لذلك سبب معين؟

ميرا:

لا تسألي كثيراُ يا مرام.

مرام:

لا بأس يا حبيبتي علي كل حال هذا أمر جميل جداً وشيء رائع، فقد كنت أتمني ذلك أما وقد فعلتِ فذلك شيء يسعدني جداً.

ميرا:

شكراً جزيلاً مرام حبيبتي من فضلك يا مرام اسألي أبي هل يريد شيئاً آخر لنضعه في الحقيبة إني أسمع صوت الأولاد لماذا لا تخبريني أنهم أتو معك.

وخرجت ميرا من غرفتها وكان الأولاد مع جدهم يسلمون عليه فسلمت علي مالك، ثم أخذت أولاد أختها في حضنها ودخلت معهم الغرفة تتحدث وتلعب معهم كما تعودت، ثم بعد فترة نادي مالك علي أولاده لكي يذهبوا معه فسلموا علي ميرا وعلي عم شاهين ثم انصرفوا مع أبيهم.

مرام:

هل تريد شيئاً آخر يا أبي لقد انتهينا من ترتيب حقيبة السفر وجميع أوراقك.

الأب:

سأذهب بنفسي وأنظر معكما إذا ما كان يوجد شيء متبقي أم لا.

ميرا:

أين سنقيم هذه المرة يا أبي؟

الأب:

العنوان مكتوب أمامك يا ميرا في الورقة الموجودة علي هذا المكتب، والمكان هناك جميل وسيعجبك جداً.

ميرا:

شكراً يا أبي لقد عرفتُ العنوان.

ثم دخلت ميرا غرفتها ومعها التليفون وأغلقت الباب وطلبت سامر وأخبرته بمكان إقامتهما بهولندا.

سامر:

لقد سافرتُ إلى ذلك المكان منذ خمسة أعوام في رحلة لمدة ثلاثة أسابيع تقريباً.

ميرا:

هذا جميل جداً وسيجعلني أسألك كثيراً عن بعض الأماكن هناك.

سامر:

كان هذا منذ فترة ولا أدري كيف أصبح الحال حالياً.

ميرا:

إنها مدة ليست بالطويلة وأظن أن الأمورستكون كما هي غالباً.

سامر:

في أمان الله يا ميرا.

ميرا:

سامر حبيبي سأخبر أبي عن قصتنا.

سامر:

هذا شيء رائع هيا يا ميرا فلطالما تمنيتً ذلك وانتظرت تلك اللحظة.

ميرا:

سأذهب إليه الآن وأقص عليه ما حدث.

سامر:

أنا في انتظارك يا حبيبتي،

أتقلب علي جمر النار واتشرد ويا الأفكار(١)

ميرا:
سلامتك ياحبيبي سأعود إليك فور انتهائي من الحديث مع أبي ومع مرام.
دعواتك يا سامر أن يوفقني الله في عرض قصتنا وأن يتقبلها أبي بصدر رحب.

سامر:
سأصلي ركعتي قضاء الحاجة وأدعو الله وستكون ال أمور خيراً إن شا الله.

ميرا:
سأذهب الآن يا سامر.

---

(١)أنا في انتظارك - كلمات/ محمود بيرم التونسي- ألحان/ زكريا أحمد- غناء/ أم كلثوم

وذهبت ميرا إلى مرام قبل أن تذهب إلى أبيها، وقالت لها: تعالي يامرام وأمسكت يدها وذهبت بها إلى الغرفة وأغلقت الباب.

مرام:
ماذا بك يا ميرا؟ إن أمرك مريب هذه الأيام.

ميرا:
أريدك في أمر هام.

مرام:
تفضلي تكلمي يبدو أن لديك أمر هام للغاية.

ميرا:
هو كذلك بالفعل.
اعتدلت مرام بعد أن كانت نائمة علي السرير وقالت: خيرا يا ميرا، لقد بدأ القلق يساورني، ماذا بك؟ فإني ألاحظ تغير واضح في حياتك وأسلوبك في الفترة الأخيرة، وأود أن أعرف منك هذا الأمر الهام الذي انتظرتك أن تخبريني به.

ميرا:

أحقاً تلاحظين ذلك.
مرام:
نعم الجميع لاحظ ذلك حتى أبي وقد كنت أتحدث مع مالك في ذلك الأمر.

ميرا:
أتقولين بأن أبي لاحظ علي شيئاً

مرام:
نعم يا ميرا.

ميرا:
وماذا قال؟

مرام:

لم يقل شيئاً لكنه قال لي كوني دائماً بجوار أختك ميرا هذه الفترة، فأنت لها بمثابة الأم والأخت والصديقة، وكان يوصيني كثيراً بك قال: بأنك أفضل من ذي قبل بكثير وقد زال عنك الاكتئاب الذي كان يلازمك، وهو سعيد جداً لكنه كان يريد مني أن أكون معك لأعرف أخبارك وماذا حدث معك.

ميرا:

وأنا قد ناديتك الآن لهذا السبب وذلك التغير الذي يلاحظه الجميع دون أن أدري.

مرام:

أظن أن في الموضوع حب وقصة كبيرة أليس كذلك؟

ميرا:

هو كذلك بالفعل إنها قصة حب غريبة وعجيبة وجميلة.

مرام:

هيا يا ميرا أخبريني بسرعة متي حدث ذلك؟ ومن يكون؟ وما اسمه؟ ومن أي مكان هو؟ وهل هو زميل لك بالجامعة أم ماذا؟ أخبريني هيا هيا يا ميرا.

ميرا:

مهلاً يا مرام اعطني فرصة للحديث.

مرام:

أسمعك يا ميرا هيا عندي فضول كبير لمعرفة من هو ذلك الشخص الذي استطاع أن يفوز بقلب ميرا، ويحدث كل هذا التغيير في حياتها بسرعة كبيرة.

ميرا:

إنه جار لنا بالعمارة المقابلة لعمارتنا.

مرام:

معني ذلك أنه في نفس الشارع يا ميرا.

ميرا:

نعم يا مرام.

مرام:

وكيف حدث هذا؟ ومتي؟ ومن هو يا ميرا تكلمي بسرعة فأنا شغوفة جداً لمعرفة من يكون ذلك الشخص.

ميرا:

تعالي معي إلى تلك النافذة هل تشاهدي تلك العمارة؟

وأشارت ميرا إلى العمارة التي يسكن بها سامر فاندهشت مرام ثم قالت: نعم أراها هل هو من سكان تلك العمارة أم أنه مستأجر بها شقة للسكن؟

ميرا:

إنه من سكانها يا مرام.

مرام:

وما اسمه يا ميرا؟

ميرا:

اسمه سامر توفيق الحلواني.

مرام:

لقد سمعت هذا الإسم من قبل من أبي.

ميرا:

أحقاً ما تقولين؟

مرام:

نعم يا ميرا وأظن أن أبي يعرف والده لكن لم أدر هل هو الذي تقصدينه أم لا.

ميرا:

ستكون مفاجئة كبيرة وفرصة عظيمة لو كان هو ذلك الشخص الذي يعرف أبي والدَه، لقد شجعني كلامك هذا يا مرام أن أتحدث في الموضوع بقوة.

مرام:

أحسنت يا ميرا هيا لتخبري أبي فهو قد انتهى من ترتيب أشيائه الخاصة بسفره، وسوف أذهب لإعداد أحلى فنجان قهوة التي يحبها أبي وأنت طبعاً النسكافيه الذي تحبينه حتى يكون المزاج عالي وأنت تتحدثين في هذا الموضوع الهام.

ضحكت ميرا وابتسمت ابتسامة خفيفة لكنها كانت مضطربة ومرتبكة، ولا تعلم ماذا سيكون رد فعل أبيها بعد التحدث معه في ذلك الأمر.

ودخلت ميرا لتتحدث مع والدها وكان جالساً علي كرسي بالصالة أمام التلفاز واضعاً أحد رجليه علي الأخرى في وضع استرخاء وبإحدي يديه أوراق خاصة بعمله والأخرى خلف رأسه، فجلست ميرا بجانبه وقالت له: كيف حالك يا أبي؟ن فاعتدل من جلسته وقال لها أهلا ميرا كيف حالك؟

ميرا:

الحمد لله يا أبي هل انتهيت من وضع كل أشياءك المطلوبة للسفر أم لا يزال هناك بعض الأشياء التي لم تضعها حتى الآن؟

الأب:

لا يا ميرا لقد انتهيت من وضع كل ما أحتاجه لسفرنا أراك تريدين شيئاً ما ماذا بك؟، أخبريني يا حبيبتي.

ميرا:

أريد أن أتحدث معك في موضوعين موضوع خاص بي، قد حدث معي منذ أيام وموضوع عام من واقع خبرتك وقراءتك وكتبك الكثيرة بمكتبتك الكبيرة.

الأب:

خيراً يا ميرا تكلمي يا حبيبتي.

ميرا:

الموضوع الأول الخاص بي معذرة يا أبي فأنا مرتبكة بعض الشيء، لقد حدثت معي قصة عجيبة خلال الأيام الماضية.

الأب:

تكلمي يا حبيبتي فأنا في انتظار هذه اللحظة حيث أنني أري عليك تغيراً واضحاً في الفترة الأخيرة، وكنت علي ثقة تامة أنك ستأتي لتتحدثي معي وتخبريني عن كل شيء بالتفصيل.

ميرا:

أحقاً يا أبي كنت تلاحظ ذلك؟

الأب:

نعم يا ميرا فأنا مشغول بأمرك خصوصاً في الفترة الأخيرة تفضلي ياحبيبتي أسمعك.

ميرا:

لقد سهلت علي تلك المأمورية وهذه المهمة الصعبة لقد تعودت معك علي المصارحة والشفافية والتحدث في كل شيء كما عودتنا دائماً .

الأب:

تحدثي يا ميرا هيا يا حبيبتي.

ميرا:

منذ أيام قليلة اتصل شخص علي تليفون المنزل وكان يسأل عن صيدلية د. سيليا المجاورة لنا.

الأب:

نعم أعرفها فهي قريبة من عمارتنا.

ميرا:

وكان ذلك عن طريق الخطأ، فقلت له: إن الرقم خطأ، فقال لي: شكرا مدام، فلم أسكت وقلت له: أنا آنسة من فضلك ولا أدر لماذا قلتُ له ذلك، وكان من المفترض أن أسكت لكن هذا ما حدث، فاعتذر عن ذلك بشدة ويبدو أنه كان مرتبكاُ من ردي عليه بهذه الطريقة، ثم حدث نقاش بيننا بدون ترتيب وبطريقة عجيبة.

وسكتت ميرا وأصابتها ربكة وتلعثمت، فقال لها أبوها: أكملي يا حبيبتي وماذا بعد ذلك؟

ميرا:

سأكمل لك القصة يا أبي.

ودخلت مرام عليهما فشكرتها ميرا علي النسكافيه وقالت: لقد أتي في الوقت المناسب، وقدمت مرام فنجان القهوة المحوج لوالدها فقال لها: اجلسي يا مرام واسمعي معي كلام ميرا، فهو أمر مهم، ورفع الفنجان إلى شفتيه وأخذ رشفة ثم قال: وماذا بعد يا ميرا؟

قصت ميرا علي والدها ما حدث بينها وبين سامر وأشارت إلى العمارة التي يسكن بها سامر.

فقال لها: إن تلك العمارة يسكن بها مدرس لغة انجليزية ممتاز جداً، وهو شخصية محترمة وذو خلق طيب، وكان دائماً في خدمة الناس واسمه الأستاذ توفيق الحلواني، وأنا أعرفه وكانت بيني وبينه لقاءات، وله ابن اسمه سامر كان يتحدث عنه كثيراً معي وكان يحبه جداً ويقول: بأنه مطيع ومجتهد وذكي.

ميرا:

لا أصدق ما أسمعه منك إنه هو يا أبي إنه سامر الذي أحكي لك عنه.

الأب:

سبحان الله ما هذه الصدفة العجيبة.

ميرا:

لقد أخبرني سامر أن والده توفي منذ سنوات ولحقته أمه بعده بمدة قصيرة.

الأب:

إنا لله وإنا إليه راجعون رحمهما الله رحمة واسعة يبدو أن ذلك قد حدث أثناء سفري حيث انقطع الاتصال معه لانشغال كل منا بح إله وحياته وأولاده.

ميرا:

إن سامر شخص طيب جداُ يا أبي ويبدو أنه يشبه والده في خلقه واحترامه وجماله.

الأب:

لم أذكر كلمة الجمال يا ميرا لكن لا بأس من قول ذلك، تلعثمت ميرا واحمرت خجلاً، فقال لها أبوها يريد أن يخفف عنها ماهي فيه: وما هو الموضوع الثاني يا ميرا؟

أخذت ميرا نفساً عميقا وتنهدت وكأنها أزاحت عبئاً كبيراً من علي كاهلها ووضعت حملاً ثقيلاً من فوق ظهرها، ثم قالت: الموضوع الآخر يا أبي موضوع الطريق إلى الله والمنهج المتبع في ذلك والذكر والفكر والأوراد والمكاشفات غير ذلك.

الأب:

حبيبتي ميرا من حدثك عن هذا الأمر؟

ميرا:

لقد تطرقنا في النقاش أنا وسامر في هذا الموضوع ويبدو أن سامر لديه معلومات كثيرة عنه فأحببتُ أن آخذ رأيك وأستشيرك فيه.

الأب:

هذا أمر عظيم وهام جداً يا ميرا ويبدوا أن سامر مثل والده فقد كان أبوه رجلاً صالحاً محباً للخير.

ميرا:

أفهم من كلامك هذا يا أبي أن هناك ما يسمي بالطريق والسير فيه.

الأب:

نعم يا ميرا هو طريق له منهج وعلماء و كتب وهو طريق أهل الله طريق التصوف الذي هو مقام الإحسان.

ميرا:

وهل التصوف هو مقام الإحسان؟

الأب:

نعم هو مقام الإحسان، حيث أن الدين ثلاثة أقسام إسلام وإيمان وإحسان كما جاء في حديث سيدنا جبريل للرسول -ﷺ – عندما

سأله، وهو أحد تعريفات التصوف الكثيرة التي قد تصل إلى ألفين تعريف.

ميرا:

أتقول ألفين تعريف يا أبي للتصوف؟

الأب:

نعم يا ميرا، ومن تعريفات التصوف أيضاً أنه: " التخلي عن كل دني والتحلي بكل سني".

والطريق إلى الله يا ميرا يعتمد في بدايته على صدق التوجه إلى الله، ومعرفة آفات النفس وعيوبها، وكيفية التغلب على تلك الآفات، وما هي مراتب التفس البشرية، وكيفية الترقي فيها، مع اليقظة والهمة والعزيمة والذكر والفِكر، ذكر اللسان وذكر القلب وذكر الجوارح، والمداومة على ذلك، وهذا كله يحتاج إلى التعلم على يد أستاذ رباني يرشدك للطريق ويحذرك من آفات النفس ومكائد الشيطان، وكيفية مواجهتها، بناءاً على التجربة ممن سبقوة وأرشدوه لهذا الطريق.

ميرا:

ماذا تقول يا أبي؟ إن الأمر عظيم حقاً.

الأب:

نعم يا ميرا هو كذلك، فمقام الإحسان هو روح الدين، الذي هو مقام المراقبة، وهو يتطلب التخلي ثم التحلي حتى يصل إلى التجلي.

ميرا:

ما معنى التخلي والتحلي والتجلي يا أبي؟

الأب:

التخلي يعني تخلية القلب من الصفات الذميمة وتحليته بالصفات الحميدة ويحصل له التجلية أي التجليات بالأنوار والأسرار والاشراقات.
وليعلم المريد في ذلك الطريق: أن كل تلك الأسرار والإشراقات والفيوضات والمكاشفات ليس هو المقصود من الطريق، فكل ذلك خير وبركة، ولكن المقصود على الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى.

وعلى السائر في الطريق إلى الله أن يكون هذا مقصوده.

ميرا:

لقد شوقتني جدا يا أبي لمعرفة الكثير عن هذا الطريق ومعالمه وكيف تكون البداية فيه.

الأب:

البداية يا بنيتي كما قلت لك هي بصدق التوجه إلى الله والإخلاص في النية والتوبة والهِمة واليقظة والاصرار، كل ذلك من خلال عالِم رباني مُربي.

ميرا:

وكيف لنا أن نجده يا أبي؟

الأب:

بالسؤال والبحث عنه، وسوف أرتب لك هذا الأمر وأدعمك ببعض الكتب التي تساعدك كثيرا في معرفة معالم هذا الطريق ومنهجه وصفات علمائه الربانيين.

ميرا:

شكرا جزيلا يا أبي، لقد أحسست بتقصيري الشديد في عدم معرفتي بمثل هذا الأمر، وكيف لي أن أجهل موضوع مهم كهذا.

الأب:

لا بأس يا ميرا، فكل شيئ يا بنيتي له موعد، والحمد لله أن تطرقتِ بنفسك لهذا الموضوع وهذا فضل كبير من الله تعالى وهذا موضوع هام فعلاً وسنكمل الحديث فيه لاحقاً، أما بخصوص سامر اتصلي به الآن ياميرا.

وقع هذا الطلب علي ميرا كالصاعقة ولم تكن تتوقعه أبداً من أبيها، وصمتت ولم تتكلم فكرر أبوها عليها الطلب فقالت له: ماذا قلت الآن يا أبي؟ قال: اطلبي سامر الآن يا ميرا.

ميرا:

إذن إن ما سمعته صحيح أتريدني أن أطلبه يا أبي.

الأب:

نعم يا ميرا وقولي له إن أبي يريد أن يتحدث معك فهل هو في المنزل الآن.

ميرا:

نعم يا أبي فهو ينتظر انتهاء حديثي معك بفارغ الصبر حتى يعرف ردك.

ذهبت ميرا وهي مضطربة ومرتبكة وأحضرت التليفون من غرفتها وسحبت سلك التليفون خلفها وجلست لتطلب سامر.

سامر:

أهلاً ميرا هل تحدثت مع والدك؟

ميرا:

إن أبي معي الآن وقد أخبرته ورويت له ما حدث، وهو يريد أن يتحدث معك.

تفضل أبي معك يا سامر.

الأب:

أهلاً يا سامر يا ولدي رحم الله والدك لقد أخبرتني ميرا الآن بذلك، فقد كان رجلاً صالحاً ذو خلق وصاحب مباديء.

سامر:

شكراً جزيلاً يا عمي علي هذا الثناء الجميل على والدي وأنا سعيد جداً بأنك تعرف والدي معرفة شخصية.

الأب:

لقد تقابلت معه وجلسنا سوياً عدة مرات وكان يتحدث عنك كثيرا كما أنه كان يحبك جداً.

سامر:

إنها فرصة عظيمة يا عمي أن أتحدث معك وسعادتي لا توصف بتلك المعرفة التي كانت بينك وبين أبي، ولقد سهلت لي أمر مقابلتك والحديث معك والجهد الكبير الذي كنت سأبذله في سبيل ذلك.

الأب:

إن ميرا أخبرتني بما حدث وأريد أن أسمع منك.

سامر:

أريد أن أقابلك يا عمي لأتحدث معك في هذا الأمر.

الأب:
تفضل يا سامر البيت بيتك هل أخبرتك ميرا بسفرنا غدا بعد منتصف الليل.

سامر:

نعم أخبرتني بذلك وأريد ان أقابلك اليوم إن أذنت لي.

الأب:

بكل سرور تفضل نحن في انتظارك.

وقفت ميرا في ذهول وحيرة وهي تسمع ذلك الحوار الذي دار بين سامر ووالدها مع ما انتابها من تضارب في مشاعرها بين الفرح والقلق والتفكير في مجيء سامر لبيتها ورؤيته لأول مرة وجهاً لوجه وكيف يكون اللقاء.

ولاحظت مرام ارتباك ميرا الشديد الذي ظهر عليها فأخذتها إلى غرفتها وهدأتها وقالت لها ميرا: أنا لا أصدق ما يحدث يا مرام، وكيف تم ذلك بهذا الترتيب والتدبير العجيب وبتلك السهولة واليسر؟ وهل سيأتي سامر حقاً إلى هنا في بيتنا؟ أنا لا أكاد أصدق شيئاً مما يحدث حولي إن سامر سيأتي في بيتنا الآن يا مرام.

مرام:

تماسكي يا ميرا واهدأي وتمالكي نفسك وأعصابك واستعدي لقدوم سامر بعد قليل.

ميرا:

سأرتدي الطقم الذي يحبه سامر قالت ميرا ذلك وهي متوترة.

مرام:

ماذا تقولين؟ أتقولين الطقم الذي يحبه؟ وهل تقابلت معه قبل ذلك يا ميرا.

ميرا:

لا يا مرام إنها أول مرة أقابله فيها.

مرام:

وكيف تقولين ذلك؟

ميرا:

ليس هذا وقت الحديث والأسئلة يا مرام، سأحكي لك كل شيء بالتفصيل لكن ليس الآن يجب علي الإستعداد جيداً وسوف أحضر الحلوي التي يحبها.

ازدادت حيرة مرام ودهشتها من كلام ميرا وروادتها أسئلة كثيرة حول ما تسمعه من أختها ميرا، لكنها فضلت السكوت حتى تجهز أختها لاستقبال سامر، وقامت مرام بترتيب البيت وتنظيفة سريعاً وفرشت المفارش الجديدة.

وكان سامر قد حلق ذقنه وارتدي بدلته وذهب إلى مول مجاور له ليشتري الجاتوه والشيكولاتة، ثم ذهب إلى عمارة ميرا وكان والد ميرا في انتظاره، أما ميرا كانت في حالة لا تُحسد عليها، حيث كانت نظراتها حائرة، وعيناها زائغتان، وقلبها يخفق بشدة، وقد بدا عليها ذلك واضحاً حتى أن والدها ربت علي كتفها وابتسم لها ليخفف عنها قلقها وتوترهان وقال لها: كله خير إن شاء الله يا حبيبتي، فارتمت ميرا في حضن والدها ولمعت عيناها بالدموع فسقطت على وجنتيها فمسح أبوها الدموع من علي خديها وقبلها من جبينها.
ولما دق جرس الباب دق معه قلب ميرا بصوت أعلى من جرس الباب وكاد أن يتوقف وعلت أصوات أنفاسها.

ميرا:

إنه هو يا أبي.

الأب:

ادخلي مع أختك مرام للغرفة.

أحست ميرا بعدم الاتزان ولم تسمع ما ق إله والدها فكرر عليها الكلام، وطلب من مرام أن تأخذ أختها للغرفة فذهبت مع ميرا إلى غرفتها وقلبها وعينيها وأذنيها مع الباب.

مرام:

اهدأي يا ميرا إنك متوترة جدا تماسكي حتى يراك سامر في أحسن صورة.

ميرا:

أنا مضطربة ومرتبكة جداً يا مرام هل هذا واضح علي ملامحي ومنظري.

مرام:

أنت جميلة جدا وفي أجمل صورة كالقمر ليلة تمامه لا عليك يا حبيبتي.
وما أن ذهب والدها وفتح الباب وكأن باب قلب ميرا قد أطل على رؤية القمر الذي طال انتظار قدومه وها هو قد أهل عليهم بطلعته البهيه.

الأب:

أهلاً اهلاً سامر تفضل يا بني.

سامر:

أهلاً يا عمي.

الأب:
لمَ كل هذا يا سامر؟

سامر:
شيء بسيط يا عمي لم أتمكن من إحضار شيء آخر لضيق الوقت.

الأب:

نورت البيت يا سامر أنت تشبه والدك كثيرا صوتك وجسمك ووجهك رحمه الله رحمة واسعة كان رجلاً جميلاً وعلى خلق.

ونادى الأب علي ميرا وقال لها: احضري الشاي والحلوي، دق قلب سامر بقوة وكاد أن يخرج من صدره فهو لا يصدق ما يحدث، وكيف أنه في بيت ميرا يجلس الآن مع والدها، وكانت ميرا هي الأخرى في وضع صعب للغاية، حيث الحيرة الشديدة وما تفكر فيه في تلك اللحظة، وكيف ستقابل سامر لأول مرة وفي بيتها في وجود أبيها وماذا سيكون رد فعلها وهي تقف أمامه.

الأب:

أهلاً يا سامر يا ولدي أنا سعيد برؤيتك.

سامر:

شكراً جزيلاً يا عمي أنا سعادتي أكثر، والآن أريد أن أدخل في الموضوع الذي أتيتُ من أجله.

الأب:

تفضل يابني أسمعك.

سامر:

بدون مقدمات يا عمي فأنا لا أجيدها، أنا أريد أن أتقدم لخطبة ميرا والزواج منها.

ابتسم الأب له وقال: اهلاً بك يا سامر أنت شاب واضح وصريح وذو خلق حميد، رحم الله والدك كان رجلاً ونعم الرجال له مكانة عالية في المنطقة كلها وكان محبوباً جداً.

وسأل عن أحوال سامر المادية وعمله واطمأن من هذه الناحية ثم استأذنه لسؤال ميرا، ولما دخل والدها الغرفة وكانت قد سمعت الحوار وطلب سامر من والدها للزواج منها اتجهت مسرعة نحوه وهي تبكي وحضنته بشدة قبل أن يحدثها في شيء.

فقال لها: مبروك يا ميرا فقالت له: أنت أعظم أب في الدنيا.

الأب:

ادخلي يا ميرا وقدمي الشاي والحلوى، واستعدت ميرا بمفردها، وانتظر أبوها مع مرام حتى لا ترتبك ميرا وهي تسلم علي سامر، وذهبت وهي في حال مركبة من الفكر والشرود والحيرة وخفقان

القلب والربكة وعدم السيطرة علي مشاعرها الجياشة في هذا الموقف الصعب عليها وعلى سامر.

ولما دخلت على سامر قام واتجه نحوها ليأخذ منها الصينية، التي كادت أن تسقط من يديها المرتعشتين، ووضعها علي الترابيزة وأمسك يديها فأغمضت عينيها وراحت تسبح بفكرها فيما هي فيه واحمر وجهها، فأجلسها على الكرسي المجاور له ونادى عليها مرتين ميرا ميرا، وهي ترد بصوت خافت متحشرج يكاد لا يُسمع، وقالت: سامر سامر، ثم وضعت يدها علي وجهه ونظرت في عينيه وكادت أن ترتمي بأحضانه حتى سمعت صوت أبيها وصوت مرام، فجلست وهي في حالة غريبة، ولما لاحظ أبوها ذلك قال لها: هيا يا ميرا احضري لي فنجان قهوة آخر من يديك الجميلتين فأخذتها مرام من يديها ودخلت معها إلى الغرفة.

أما سامر فكان في ربكة شديدة مما يحدث في تلك اللحظات وظل ينظر إلى ميرا نظرة المحب العاشق الذي طال انتظاره إلى لقاء حبيبه.

الأب:

مبروك يا سامر مبروك عليك ميرا ، إن ميرا هي زهرة العائلة وحبيبة أبوها المقربة إليه، وحاول عم شاهين أن يخفف من ربكة وحيرة سامر التي ظهرت عليه.

سامر:
إن ميرا هدية من الله سبحانه وتعالى، ونعمة كبيرة سأظل شاكراً لله تعالى ما حييت أن جمع بيني وبينها.

الأب:
فلنقرأ الفاتحة يا سامر حتى يأتي الأهل لإتمام الترتيبات الخاصة بذلك.

وقرأ كل من سامر ووالدها الفاتحة ثم قال لسامر: لا تقلق من أي ترتيبات كل شيء ميسر إن شاء الله ولن تكون هناك أي عوائق شكلية علي الإطلاق.
انفرجت أسارير سامر ثم قال: إن ميرا أخبرتني أن سفركما سيكون غداً إن شاء الله وأن المدة ستكون طويلة وأريد ان أكون معكما في هذا السفر يا عمي.

الأب:

ماذا يدور في عقلك الآن يا سامر؟ وماذا تعني بقولك أن المدة طويلة؟

سامر:

أريد أن نرتب أمورنا وأكون معكما في هذا السفر لأني لا أستطيع البعد عن ميرا كل هذه الفترة معذرة يا عمي في هذا الكلام.

الأب:

هل تسمعي ما يطلبه سامر يا ميرا؟ إنه يريد أن يسافر معنا غداً.

ردت ميرا بصوت ممزوج بالفرح والدهشة وقالت: وما رأيك أنت يا أبي؟

الأب:

معني ذلك أن نكتب الكتاب غداً صباحاً والوقت ضيق جداً.

كادت ميرا أن تطير من الفرحة وكادت أن يُغشيء عليها من تلك المفاجئة الغير متوقعة بالمرة وقالت: الرأي رأيك يا أبي، ابتسم والدها وقال: علي بركة الله.

إن الوقت ضيق جداً لكن سنرتب أنا وسامر الأمر من الآن، هيا يا سامر لنبدأ في الإجراءات المطلوبة وبدأوا بتدوين كل المطلوب وكل الملاحظات في ورقة، ثم قال لسامر: هذا رقم المأذون اتصل به الآن للحضور في البيت هنا غداً عصراً،

ثم ابدأ بالاتصال بأهلك ليبدأ من يستطيع منهم الحضور والمجيء في الاستعداد من اليوم لبعد المسافة.

ثم اتصل والد ميرا بمكتب الطيران لحجز تذكرة لسامر رجال أعمال علي نفس الطائرة وتم الحجز بالفعل بصعوبة.

ثم استأذن سامر كي يرتب أمر حضور أهله من الصعيد، وكيفية استعدادهم ورد فعلهم على هذا الخبر وتلك المفاجئة التي أتت دون وقت كاف أو تمهيد.

وسلم علي والد ميرا واحتضنه بشدة وشكره علي حكمته الكبيرة وتقديره لل أمور وفكره المتحضر ورجاحة عقله وتفهمه لما حدث واستجابته السريعة طالما لا يوجد ما يمنع حدوث ذلك، وكان عم شاهين له فكر متطور فقد لاحظ أن سامر شاب ممتاز ومجتهد ويحب ميرا بشدة ولديه عمل محترم بشركة كبيرة وأن والده مشهود له بالصلاح بين الناس.

ولما وصل سامر إلى شقته اتصل بعدد من أقاربه ممن يستطيعون الحضور غداً وأخبرهم أن الأمر جاء بسرعة ولم يستطع إخبارهم بوقت كاف، ثم رفع سماعة التليفون وطلب ميرا فأخذت التليفون وقالت لوالدها قبل أن ترفع سماعة التليفون:

إنه سامر يا أبي، ثم ذهبت لغرفتها، فنظر والدها إلى مرام وابتسم،

وقال: عرفته من رنة التليفون، فضحكت مرام وقالت: نعم يا أبي إن للحب أسرار وحاسة خاصة به، وكانت مرام سعيدة جداً بخطوبة ميرا وبما تم في هذا اليوم ودخلت ميرا غرفتها وأغلقت الباب ثم رفعت السماعة وهي تحتضنها بين خدها وكتفها ثم قالت: أحقاً كنت معي وفي بيتنا يا سامر؟

سامر:

نعم حبيبتي إنه شيء أكبر من تصوراتي وخيالي.

ميرا:
أنت جميل جداً يا سامر إنها المرة الأولي التي التي أري فيها وجهك وملامحك بوضوح، ولم أستوعب ما حدث حتى الآن وكيف أنني لمست وجهك الجميل بيدي ووقفت أمامك لا يفصلني عنك شيء.

سامر:
إن ما حدث معنا يا ميرا أشبه بالمعجزات.

ميرا:

نعم هو كذلك يا سامر.

سامر:

في يوم وليلة تزول كل المخاوف والحسابات وتُحل كل الأمور، والله إن ذلك فضل الله والحمد لله حمداً كثيراً علي هذا الفضل العظيم.

ميرا:

اسمع يا سامر من يبتهل الآن إنه النقشبندي يصدح بصوته الندي في الأفاق.

سامر:

نعم أسمعه يا ميرا إن كلماته رائعة ومعبرة وهو يقول:

وكم يسر أتي من بعد عسر وفرج كربة القلب الشجي.

ميرا:

أنا لا زلت في ذهول شديد يا سامر هل هذا حقيقي وواقع في يقظتي أم أنني في حلم جميل لاأريد أن أستيقظ منه.

سامر:

نعم يقظة وواقع تخيلي يا ميرا سنتزوج وستكونين زوجتي بإذن الله.

ميرا:

يا لها من كلمة رائعة وإحساس جميل يا سامر اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

سامر:

إن والدك يا ميرا رجل حكيم جداً جداً وذو خبرة كبيرة وله قدرة عظيمة في اتخاذ القرار في الوقت المناسب، أنني سعيد جداً بمقابلته وهذا من حسن حظي أن أقابل شخصية بهذه المكانة العالية والعقل الراجح، وكأنه قرأ كل ما يدور بداخل كل منا واستشف الحب الكبير الذي جمع بيننا ولهفتنا وعدم استطاعة كل منا في البعد عن الآخر.

ميرا:

إنه أمر مدهش للغاية فعلاً لم أتصور أبداً أن يتصرف أبي هكذا كما فعل، لقد اكتشفت في أبي بصيرة نافذة وقلب عامر.

سامر:

لقد نظر إلينا بفراسة ونظرة المؤمن الذي يري بنور الله كما في الحديث الشريف

(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله).

ميرا:

لقد أصبحت قصة حبنا واقعاً في العلانية أمام الدنيا كلها.

سامر:

هذا هو اللطف الخفي اللهم الطف بنا خفي لطفك بأحبابك الواقفين بأعتابك

فإنه لا حول ولا قوة إلا بك.

ميرا:

ماذا تريدني أن أرتدي غداً يا سامر؟

سامر:

لا تقلقي حبيبتي لقد رتبت أمر فستانك مع أرقي بيوت الأزياء وأعطيت لهم المقاس.

ميرا:

حبيبي سامر إنها مفاجئة جميلة جداً كيف تم ذلك؟ ومتي؟

سامر:

إنه أول شيء فعلته فور خروجي من عندك أن اتصلت بأرقي بيوت الأزياء وسيحضروه لك غداً لتعاينيه بنفسك.

ميرا:

أثق في ذوقك العالي وقدراتك الكبيرة وأنه سوف يكون مناسب جداً شكلاً ولوناً ومقاساً فلا تقلق حبيبي سيكون رائعاً.

سامر:

حبيبتي ومنيتي وحياتي كم أحبك يا قرة العين ومهجة الفؤاد.

ميرا:

هيا يا حبيبي لتستريح أمامنا مهمة كبيرة غداً ثم السفر ليلاً.

أغداُ تشرق أضواؤك في ليل عيوني (١)

أنا أحيا لغد آن بأحلام اللقاء

سامر:

صورتك وأنت تضعين يديك علي وجهي لا تفارق خيالي وإحساسي بهما لا يزال علي وجهي إنه شعور رهيب بالسعادة يا ميرا إن لمسة الحبيب لأول مرة لحظة فارقة فيها كل المعاني الجميلة، سأذهب لأنام وإحساسي بيديك علي وجهي لا يزال معي، وصورتك لا تفارق عيني تصبحين على خير يا حبيبتي.

ميرا:

وأنت بألف خير حبيبي.

وذهب سامر وبيده التليفون إلى سريره وفرد جسمه عليه مسنداً رأسه علي حافة السرير وقال لميرا: غداً ستكونين زوجتي ونكون معاً للأبد بإذن الله.

---

(١) من كلمات أغداً القاك ألحان محمد عبد الوهاب كلمات الشاعر السوداني الهادي آدم الذي أحب فتاة في جامعة القاهرة وجُن بها واتفقا علي الزواج لكن عندما تقدم لأهلها رفضوه ولم تفلح جميع الوسائط

ميرا:

وستكون هذه غرفتنا يا سامر فلطالما تمنيتُ أن أكون معك فيها.

لكني سأتركها كما هي دون أن أغير بها شيء يا سامر.

سامر:

كيف تقولين ذلك يا ميرا لا بد من إعادة ترتيبها وتنسيقها بلمساتك الفنية وإحساسك العالي، فأنا بمفردي بها منذ سنوات وهي تحتاج إلى الكثير من الترتيب.

ميرا:

أريد أن أرى فيها كل ذكرياتك كما هي دون تغيير، وأنام علي سريرك الذي تنام عليه، اعذرني في كلماتي التي تخرج مني دون حساب، فقد فقدتُ السيطرة تماماً علي تعبيراتي واختيار كلماتي معك، لأني لم أعد أتصور بعدي عنك لحظة واحدة ولا أشعر بأدني حاجز بيني وبينك، فأنا أتنسم أنفاسك من حولي وأسمع سجع كلماتك وسحرها وأتنهد مع دقات قلبك الحاني،

هيا يا سامر الوقت يمر ادخل لتستريح تصبح علي خير.

سامر:

قبلاتي الحارة لميرا الجميلة.

ميرا:

حبيبي أعدها مرة أخرى ماذا قلت؟

سامر:

قبلاتي وأشواقي وتحياتي لملاكي الحبيب وأميرة قلبي، إلى اللقاء يا ميرا.

ميرا:

أحبك.

وأخرج سامر الورقة التي سجل فيها المطلوب عمله من الغد صباحاً، ثم تذكر

د. سيليا مديرة الصيدلية التي كانت السبب الغير مباشر في بداية قصته مع ميرا باتص إله الخطأ حيث كان يتصل بالصيدلية لإحضار مسكن للالأم فطلب رقم منزل ميرا عن طريق الخطأ، وكانت هذه هي اللحظة الفارقة التي بدأت بها قصة حب سامر وميرا الكبيرة والعجيبة، واتصل سامر فعلاً بالدكتورة سيليا، فردت عليه فعرفها بنفسه وقص عليها ما حدث، وطلب منها أن تكون موجودة غداً في حفل كتب الكتابن ففرحت د. سيليا جداً بقصته الجميلة مع ميرا ورحبت علي الفور بطلبه لها بالحضور وبتلك الدعوة الرقيقة، وأبدت كامل استعدادها لكي تكون موجودة معهما لتشاركهما هذه المناسبة السعيدة والتي يُقال أنها سبب من أسباب بدايته.

ثم ذهب سامر لغرفته ووضع جسمه علي السرير لينام ورأسه مليئة بالأحداث المتطورة بسرعة كبيرة وبالتجهيزات والحفل واستقبال الناس وتنظيم المكان للأكل واستلام فستان ميرا والشبكة ثم السفر بعد ذلك حتى نام نوماً عميقاً وعلا صوته من الإرهاق وكثرة التفكير.

ولما استيقظ سامر في الصباح الباكر جاءه حارس العمارة الذي كان قد اتفق معه بالأمس علي تنظيف الشقة ومدخل العمارة لاستقبال الضيوف وترتيب الفراشة ومتابعة وضع الزينة والأنوار علي شقة ميرا ومدخل عمارتها وعمارته .

وبدأ الاستعداد وارتفعت أصوات الأغاني المبهجة الجميلة من الفلكلور الشعبي في مثل هذه المناسبات مع بعض الابتهالات الجميلة ومديح المصطفي صلي الله عليه وسلم مع يسن التهامي والعربي البلبيسي وغيرهما، وعلا صوت يس التهامي في الحب الإلهي ومدح النبي صلي الله عليه وسلم قائلاً:

أكاد من فرط الجمال أذوب هل يا حبيبي في رضاك نصيب

جعلت قلبي يهفو دوما للقا وإذا ذكرتك يا حبيبي أطيب

وفي هذا الوقت وصل الفستان من بيت الأزياء الذي كان قد اتصل به سامر، فاستلمه سامر فأرسله سريعاً إلى ميرا، فهمت لقياسه وبكت ميرا هي ومرام عند استلام الفستان وتذكرت كل منهما

والدتهما عندما كانت تقول: (نفسي أشوفك يا ميرا عروسة بفستان الفرح)، ودخل عم شاهين فوجدها تبكي فحضنها هي ومرام وقال: رحم الله أمكما فقد كانت من أجمل وأرق وأخلص النساء وأصدقهم وصاحبة قلب كبير ووقفت بجانبي بكل قوتها وجهدها، وها هي الآن تشعر بنا و بتحقيق أمنيتها لبنتها الجميلة ميرا، وكيف أن الله تعالي رزقك برجل من خيرة الرجال يجبك ويقدرك وهدأها حتى ابتسمت له، ثم انصرف للضيوف الذين بدأوا في الحضور لمنزل ميرا ممن تمت دعوتهم، كما حضرت د سيليا فقابلتها ميرا بامتنان وحب وعرفان بالجميل وكيف أنها كانت سبب غير مباشر في قصتها مع سامر، وعبرت د . سيليا لها عن سعادتها الكبيرة بهذا الأمر وهذه القصة العجيبة التي جمعت بينهما، وأهدت ميرا هدية قيمة عبارة عن خاتم من الذهب فأعربت ميرا عن سعادتها بهذه الهدية، وشكرتها بشدة علي تشريفها وجلست ميرا بجوارها وتحدثت معها بكل الود والحب فقالت لها د. سيليا: هيا يا ميرا اذهبي لتستعدي فإن الوقت قصير

ولو احتجت أي شيئ أرسلي لي فوراً وكانت د. سيليا مسرورة جداُ بوجودها بينهم، وعمت البهجة المكان وذهب كل من حضر لتناول الطعام الذي تم إعداده للضيوف.

وفي وسط هذا الجمع من الناس وهذه الأجواء المبهجة نادت ميرا علي أختها مرام وطلبت منها أن تُخرج الناس من غرفتها بهدوء لدقائق معدودة وتغلق الباب، وفهمت مرام ما تقصده ميرا وأخرجتهم بأسلوبها الجميل وأغلقت الباب، فأسرعت ميرا ورفعت

سماعة التليفون وطلبت سامر الذي كان يستعد أيضا للحفل ويرتدي بدلته فقالت له: أين أنت ياحبيبي؟ لماذا تأخرت؟ أنا في انتظارك وانتظار كل من معك لتناول الغداء.

سامر:

أنا علي وشك الانتهاء يا ميرا أنا قادم إليك الآن معهم.

ميرا:

هيا يا حبيبي إن د. سيليا هنا من فترة، وتريد أن تسلم عليك وهي شخصية جميلة جدا وأحضرت لي خاتم من الدهب جميل جداً.

سامر:

بارك الله فيها أنا في الطريق إليك يا ميرا لأشكرها بشدة ومعي كل من حضر من ال أهل والجيران والزملاء.

وتحرك سامر ومن معه باتجاه منزل ميرا يصحبهم المزمار وبعض الأغاني مع التصفيق والزغاريد حتى وصلوا لعمارة ميرا، فجلس البعض أسفل العمارة علي كراسي الفراشة، وصعد البعض مع سامر لشقة ميرا فاستقبلهم والدها بالترحاب وعرف الحاضرين ببعض، وسلم سامر علي المأذون الذي كان جالساً منتظراً ليعقد القران وكان يستعجلهم فقال له سامر: كم انتظرتك لسنوات طويلة أيها المأذون انتظرني دقائق معدودة ابتسم له المأذون وقال: لا بأس يا عريس.

وبدأ المأذون في إعداد أوراقه لعقد القران وطلب بطاقات العريس والعروسة ووكيل العروسة والشاهدين وسلم والد ميرا علي د. سيليا التي يعرفها سكان المنطقة، وأعرب لها عن سعادته بوجودها معهم ومشاركتهم هذا اليوم، كما رحبت هي أيضاً بكل الموجودين وعبرت لهم عن سعادتها الكبيرة بهذه المناسبة الجميلة.

وبدأت إجراءات عقد القران فطلب المأذون من العريس والعروسة الجلوس لبدأ الإجراءات كما طلب من الحضور الهدوء، وبدأ حديثه بحمد الله والثناء عليه والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم ثم قرأ قوله تعالي: **(ومن ءايته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الروم آية (٢١)**

ثم تكلم عن الزواج والترغيب فيه وأنه ميثاق غليظ مبني علي المودة والرحمة والتكامل بين المرأة والرجل، وذكر بعض الأحاديث المتعلقة بذلك،

ثم قال لها: هل توكلين والدك؟ قالت: نعم، ثم أمسك بيد سامر ووضعها في يد والدها ووضع فوقهما المنديل، ثم نادي علي عم سامر ليوقع شاهد أول ثم علي مالك زوج مرام شاهد ثاني، ثم ذكر صيغة الزواج والكل مترقب ليخطف المنديل حتى انتهى من صيغته وخطف هو المنديل وأعطاه لمن كانت أقرب واحدة من الموجودين وعلت الزغاريد وعمت الفرحة، وتقدمت مرام بالشبكة التي كانت قد جهزتها بشكل جمالي حتى يُلبسها سامر لميرا ونظرت ميرا إلى

سامر وهو يتناول الشبكة كي يلبسها لها نظرة تحمل كل معاني الحب والشوق والفرح والحنين والشكر العظيم لله تعالي أن حقق لها أمنيتها، وكأنها في حلم جميل فاق كل التصورات والخيال،

ولما وقف سامر ليسلم علي ميرا بعد عقد القران وقبل وضع الشبكة علي صدرها وفي يديها ومعصمها حاولت القيام وهي تسند علي أختها مرام التي كانت بجوارها فاستقبلها سامر ماداً ذراعيه لها فمدت ذراعيها علي استحياء فرفع سامر يديها بكل لطف وحب وحنان إلى شفتيه وقبلهما، ثم أجلسها بجواره وهي في حال من الهيام والحب والدهشة، ثم استلم سامر الشبكة قطعة قطعة من مرام وبدأ يزين بها عنقها وصدرها، وما أن لامست يداه رقبتها حتى أصابتها قشعريرة ورعشة من أثر سريان برد أنامله عليها وكادت أن يُغشيء عليها لكنها تماسكت نفسها ولاحظ سامر ذلك فتوقف لحظات حتى تفيق وتنتبه وقال لها: مبروك يا ميرا لقد تزوجنا وميرا صامتة لا ترد من هول فرحتها الشديدة بما حدث.

ومر والد ميرا يسلم علي الناس ويشكرهم ويرد علي تهانيهم له، كما كان يشرف هو ومالك زوج مرام علي تقديم الحلوي والعصائر والمشروبات الساخنة لجميع الحضور.

وذهب إلى بنته ميرا فقبلها فارتمت في حضنه وكأنها طفلة صغيرة وبكت بكاءاً شديداً تداخلت فيه مشاعر الفرحة والدهشة، وقالت له: شكراً جزيلاً يا أبي كم أنت جميل وقلبك كبير فقبلها قبلة حانية علي جبينها وسلم علي سامر فشكره سامر جداً وأعرب له عن سعادته

وعن تقديره الكبير لشخصه وحكمته وسرعة استجابته لطلبه وتسهيله أمر عقد قرانهما هو وميرا وأنه يحفظ له هذا الجميل طوال حياته.

وبدأ الناس في الإنصراف لعلمهم بسفر العروسين في نفس اليوم ليلاً وذهبت ميرا نحو سامر وتعلقت بذراعه بدلال وحب فقال لها سامر: هل تصدقين ما حدث يا ميرا؟

ميرا:

لم يعد عقلي يستوعب كل ما يدور يا سامر فهو أشبه بالمعجزة وهو لطف من الله تعالي بنا.

سامر:

نعم إنه فضل عظيم من الله تعالي علينا والحمد لله رب العالمين.

ميرا:

نعم هو فضل كبير وكرم واسع منه سبحانه وتعالي.

وربت سامر علي كتفها وقبل جبينها، وذهب ليسلم علي أهله وزملائه ويشكرهم علي حضورهم وهداياهم ولم يتركهم حتى ركبوا سياراتهم وهموا بالانصراف، وصعد سامر لشقته مع الحارس وبعض العمال لترتيب الشقة وتنظيفها وغلق النوافذ والشبابيك والأنوار والغاز ووقف في البالكونة دقائق قبل أن يغلقها ونظر علي

نافذة غرفة ميرا وجال بخاطره بعض ذكرياته معها وكيف أن الله تعالي كلل قصته مع ميرا بالزواج بهذه النهاية السعيدة.

ميرا:

ألو سامر أين أنت يا حبيبي يا زوجي العزيز؟ لماذا تأخرت؟

سامر:

يا لجمال هذه الكلمة وسحرها (زوجي العزيز) إنها كلمة تحمل كل المعاني الجميلة

أنا أرتب الشقة وأغلقها وأحضر حقيبتي وسأنزل الآن يا حبيبتي يا زوجتي الجميلة.

ميرا:

قلها مرارا يا سامر (زوجتي) إنها حقا كلمة رائعة، فيها كل الحب والأمان والطمأنينة والأمل والحنان والشوق والغرام والهيام والعشق والود ما إلى غير ذلك من المعاني الراقية، هيا يا حبيبي أنتظرك أنا وأبي.

سامر:

حالاً يا زوجتي أنا في الطريق إليك.

ميرا:

كم أنت جميل يا سامر سلام يا حبيبي.

وسلمت ميرا علي مرام وزوجها مالك، وشكرتها هي وزوجها علي الجهد الكبير لاتمام هذا الحفل وشكرهما الوالد أيضاً وقال لهما بارك الله لكما في أولادكما، لقد قمتما بمجهود وافر ولولا وجودكما لما تم الأمر هكذا، حفظكما الله تعالى وجزاكما الله خير الجزاء على ما قمتم به مع أختكما ميرا.

مالك:

هذا واجبنا يا عم شاهين.

عم شاهين:

شكراً يا مالك يا ولدي.

مرام:

حبيبي يا أبي أنت أعظم أب في الدنيا حفظك الله من سوء.

مالك:

والله يا عم شاهين إن فرحتي اليوم أنستني كل المجهود والتعب وألف مبروك لميرا ودائما في المناسبات السعيدة إن شاء الله تعالي.

عم شاهين:

أنت فعلاً كإبني تماماً يا مالك، وأنت حقاً رجل ونِعم الرجال.

ولما وصل سامر إلى بيت ميرا أسرعت نحوه وأمسكت يده فقبلها، وسلم سامر علي عم شاهين والد ميرا وعلي مرام وزوجها مالك وشكرهما علي مجهودهما، وأغلقوا الشبابيك والأنوار ثم أغلقوا باب الشقة وهموا جميعاً بالإنصراف.

وذهبت مرام ومالك معهما حتى باب السيارة التي تقلهم إلى المطار، وتحركت السيارة بهم وأشارت ميرا بيدها لأختها مرام وهي جالسة بجوار سامر وأرسلت لهما قبلاتها بيديها وكان سامر يتحدث مع ميرا وهو ممسك بيديها وهما ينظران للشارع والمناظر الجميلة به وكأنهم يشاهدونها لأول مرة، وكان عم شاهين يتحدث مع السائق عن أحو إله وغير ذلك حتى وصلوا إلى المطارالجديد فحملوا حقائبهم، وسلم عم شاهين علي السائق وشكره ودخلوا صالة المغادرة وأنهوا إجراءات الدخول والوزن وختم الجوازات وتركهما عم شاهين دقائق أبلغ فيها المسؤلين بأن ابنته عروسة وقد تم عقد قرانها منذ ساعات لأنه كان يريد أن يقدم لها مفاجئة جميلة علي متن الطائرة، ثم عاد لهما فذهبوا عند البوابة رقم ٣ لانتظار إقلاع الطائرة وتم التنسيق من قبل المسؤلين مع كابتن الطائرة دون علم ميرا أو سامر بشيء من ذلك.

وربطوا الأحزمة وبدأت الطائرة في التحرك للإقلاع، وميرا متعلقة بذراع سامر واضعة رأسها علي كتفه وهي تجلس بجوار شباك

الطائرة تنظر منه علي البيوت والعمارات والشوارع حتى بدأت تتصاغر شيئاً فشيئاً إلى أن تلاشت تماما بارتفاع الطائرة في الجو، كل هذا وميرا سابحة بفكرها في كل ما حدث خلال الفترة الصغيرة الماضية وسامر يربت علي يديها،

ولما استقرت الطائرة بالجو سمعوا صوت كابتن الطائرة وهو يتكلم عبر السماعات يرحب بالجميع متمنياً لهم رحلة سعيدة، ثم قال: لدينا علي متن الطائرة عروسين هم ميرا وسامر نرحب بهما جميعاً فصفق جميع الركاب.

ثم جاءت المضيفات يتقدمهن كابتن الطائرة وسلم علي ميرا وسامر وقدموا لهما تورتة جميلة وهلل الجميع فرحاً، وكانت سعادة كل من ميرا وسامر بالغة بهذه المفاجئة الغير متوقعة من طاقم الطائرة، وكيف أنهم عرفوأ بأمر الزواج فأشار لهما عم شاهين والد ميرا فعلمت ميرا أنه هو الذي فكر في عمل تلك المفاجئة ورتب لها مع المسؤلين وطاقم الطائرة، ثم أخذت ميرا قطعة من الجاتوه هي وسامر ثم تم توزيع الباقي علي الركاب ووضعت ميرا قطعة من الجاتوه علي شفتيها ثم علي شفتي سامر فأكل منها ثم وضعها في فم ميرا في جو من السعادة والحب مع تلك الموسيقي الراقية التي كانت مسموعة عبر الميكروفون مع الأنوار الخافتة وهدوء الليل والصمت الجميل الذي يقول كل شيء بعمق ومعني يفوق الكلام.

ومرت ساعات السفر الطويلة بسلام وأمان حتى انتبهوا علي صوت المضيفة عبر الميكروفون وهي تنادي بصوت رقيق مرة باللغة

الإنجليزية ومرة باللغة العربية برجاء ربط الأحزمة لقد أوشكت الطائرة علي الهبوط في مطار(اسخيبول أمستردام) بهولندا، وأعلنت عن درجة الحرارة في الخارج وخرجوا من الطائرة إلى الصالة وأنهو الإجراءات حتى خرجوا من المطار وطلبوا ليموزين لتوصيلهم إلى الفندق حيث مكان إقامتهم.

ولما رأي سامر المكان الذي كان قد أتي إليه قبل ذلك قال إنه لم يتغير كثيراً عن ذي قبل لكن يوجد بعض المولات والمحلات التجارية الجديدة.

ميرا:

إذن فلنطمئن يا سامر المكان مكانك وسنخرج إلى معظم الأماكن هنا ونشتري كل ما نريده فالمكان جميل.

سامر:

يبدو أن معك لستة بالطلبات والهدايا.

ميرا:

نعم ياحبيبي هي لستة كبيرة معظمها لمرام.

ولما وصلوا إلى فندق إقامتهم وكان علي نهر جميل يُسمى نهر

(الراين) يشبه نهر النيل بمصر قال لها والدها هيا يا ميرا لنستريح ونترك سامر ليستريح أيضاً فقد كانت الرحلة طويلة جداً، لم تستوعب ميرا كلام والدها في البداية وهمست لسامر ألم تأت معنا؟

سامر:

سأكون معك دائماً حبيبتي.

انسحبت ميرا بهدوء شديد وهي تنظر إلى سامر وذهبت مع والدها إلى مكان إقامتهما ودخلت ميرا غرفتها ووالدها إلى الغرفة الأخرى بنفس الجناح فغسل يديه ووجهة وشرب كوبا من العصير الفريش وأخذ قطعة من المخبوزات الطازجة الموضوعة لهما بالغرفة ثم نام.

وذهب سامر لغرفته المقابلة لهما واتصل علي ميرا ولما رن جرس التليفون رفعت ميرا التليفون فإذا بسامر علي التليفون.

ميرا:

سامر حبيبي كيف حالك كنت سأسأل أبي عن كيفية التواصل معك.

سامر:

لا تقلقي يا حبيبتي ستجديني بجوارك دائماً.

وظل سامر يتحدث مع ميرا ونسي كل منهما تعبه في رحلة سفرهما الطويلة حيث تغلبت روح كل منهما علي تعب جسمه وحلقت في

دنيا الأشواق وبستان العشق والحب وأطياف المني إلى أن نام كل منهما مكانه نوماً عميقاً والتليفون في حضنه،

ولما استيقظ عم شاهين ظل ينتظر ميرا وهو جالس أمام التليفزيون فلم تستيقظ من شدة التعب والإرهاق فطرق الباب مرة بعد مرة حتى انتبهت ميرا من نومها واعتدلت وتنهدت وقالت: ادخل يا أبي، فدخل عم شاهين وسألها كيف حالك يا ميرا بعد هذا السفر الطويل؟

ميرا:

الحمد لله يا أبي إنها رحلة ممتعة وجميلة.

عم شاهين:

لقد اتصلتُ باختك مرام وطمأنتها علي وصولنا وقالت لي لا تجعل ميرا تنسى ما طلبته منها يا أبي.

ميرا:

أعلم انها سوف تقول ذلك فقد كررت علي هذا الكلام أكثر من مرة حتى لا أنسي.

عم شاهين:

سأذهب الآن يا ميرا لقضاء بعض الأشياء الخاصة بعملي هل تريدين شيئاً؟

ميرا:

لا يا أبي شكراً لك لكن أستأذنك أن أخرج مع سامر.

عم شاهين:

اخرجي يا ميرا واستمتعي بوقتك ورحلتك فالمكان جميل وسامر يعرف المنطقة هنا.

ميرا:

شكراً يا أبي علي هذه الرحلة الجميلة.

الوالد:

إنها مختلفة عن أي رحلة قبل ذلك لوجود حبيب القلب معك أليس كذلك يا ميرا؟

ميرا:

أنت حبيبي يا أبي كم أنا أحبك.

تبسم والدها وقبلها وقال: الحمد لله يا ميرا علي نعم الله تعالى الكثيرة علينا فقد انتظرت طويلاً ذلك اليوم الذي تكونين فيه زوجة لرجل يقدرك ويحبك، والحمد الله أن أمد الله في عمري حتى رأيتك وأنت عروسة جميلة مع زوج يحفظك ويصونك.

ميرا:

أطال الله لنا في عمرك يا أبي وأعطاك الصحة والعافية.

عم شاهين:

إن سامر شخصية مثقفة وطيب القلب ويحبك كثيراً، وهذا أمر هام جداً فالحب هو سر السعادة بل هو الحياة وسر جمالها، فكوني له نعم الزوجة التي تعينه علي الطاعة وعلي رضا الله سبحانه وتعالي يكن لك نعم الزوج.

وخرج عم شاهين وترك ميرا تستعد للخروج مع سامر.

ولما اتصل سامر بها قالت له: لقد استأذنتُ من أبي أن أخرج معك **قال:** هيا يا حبيبتي استعدي أنا أنتظرك يا ميرا قالت: حالاً سأكون جاهزة.

وبالفعل قابلها سامر وخرجت معه وكان الجو ممتعا ودخلت معه بعض الأماكن والمولات المختلفة واشترت بعض الأشياء وبعض الهدايا وذهبت معه إلي بعض المزارات والأماكن المشهورة هناك، واستمتع كل منهما بهذه الفسحة الجميلة ولما عادت إلى الفندق كان والدها قد عاد وجلس معهما وسألهما عن تلك الفسحة، وما حدث فيها، وهل أعجبت ميرا بالمكان وسألها عن طلبات أختها هل اشترت ما طلبته منها، حتى أن الوالد اتصل علي مرام وقال لها معك ميرا قولي لها ما تريدين وردت ميرا عليها وتناقشت معها حول بعض الأشياء التي لم تكن موجودة لكن يوجد بدائل رائعة واتفقت معها

علي إحضارها بشرط أن تكون ممتازة، وشكرت سامر بشدة أمام والدها وقالت: إن سامر يا أبي لم يدخر وسعاً في أن يقدم لي كل سبل المتعة والراحة ونفذ لي كل ما طلبته منه وزيادة.

عم شاهين:

شكرا يا سامر بارك الله لكما.

وتكررت تلك الخروجات وتعددت لأماكن مختلفة متاحف ونهر والتسوق من مولات كبيرة كل ذلك في أيام إقامتهم وكانت السعادة تغمرهم والبهجة تملء المكان، وأحست ميرا مع سامر بأنها تطير بأجنحة تحلق بها في أجواء من الفرح والسرور والحب والطمأنينة ونسيت كل معاناتها السابقة وكانت تنظر لسامر بكل حب وامتنان علي ما فعله معها وتلك السعادة التي عاشتها معه وكانت تتحدث مع سامر تليفونياً حتى الصباح بعد كل يوم تخرج معه، وتطرق الحديث ذات يوم عن التصوف الحقيقي وكيفية سلوك هذا الطريق سلوكاً صحيحاً وأخبرت سامر أنها تحدثت مع أبيها في ذلك الموضوع وأخبرته أن والدها لديه الكثير من العلم حول هذا الموضوع

سامر:

هذا أمر جميل جداً وسوف نس إله كثيرا حول هذا الموضوع ومنهجه السليم.

ميرا:

لقد تحدث أبي معي عن كيفية الذكر وأساسيات الطريق التي لأبد للمريد من معرفتها من خلال منهج علمي سليم ومدروس ومجرب، فقال لي: لأبد للمريد من المداومة يومياً على الاستغفار والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وقول لا إله إلا الله مائة مرة في الصباح ومثلها في المساء، وغير ذلك من الأمور التي تحتاج لدراسة.

سامر:

لقد كان أبي رحمه الله يفعل مثل ذلك وكان له أوراد ثابتة من القرآن ومن الإستغفار والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وقول لا إله إلا الله.

ميرا:

يبدو أن كل من والدي ووالديك كان لهم باع كبير في سلوك ذلك الطريق فقد كنتُ أسمع أمي كثيرا تذكر الله كثيراً وتقوم الليل هي وأبي ويكثرون من الإستغفار والصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وقول لا إله إلا الله.

سامر:

يبدو أننا كنا مع أناس سالكين لهذا الطريق ذاكرين الله كثيرا مستغفرين مكثرين من الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وقد أكرمنا الله تعالي ببركة دعائهم وصدق توجههم إلى الله.

ميرا:

لقد عدد لي أبي بعض من صيغ الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وقال لي: أن هناك العديد من المجلدات والكتب المليئة بصيغ الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم وشمائل الحبيب المصطفي صلي الله عليه وسلم وأنه ليس هناك باب إلى الله إلا من خلال سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم.

سامر:

لأبد لنا من البدء في هذا الطريق بداية فعلية عن طريق دراسة هذا المنهج من علمائه الربانيين مثل الإمام الرائد محمد زكي إبراهيم رضي الله عنه عبر الأكاديميات المعتمدة مثل أكاديمية أهل الصفة والبيت المحمدي فأنا شغوف جداً لسلوك ذلك الطريق الذي يغذي الروح علاوة علي غذاء الجسد.

ميرا:

نعم لقد سمعتُ أبي يقول: إن الإنسان عبارة عن جسد وروح والجسد له غذاء من مأكل ومشرب ومسكن وزوجة ومال وجاه وغير ذلك،

أما الروح فغذاؤها الذكر والفكروتحقيق مقام الإحسان، وكما أن الجسد لا حياة له بدون الروح فكذلك التصوف الحقيقي بالنسبة للدين، فلا دين صحيح إلا بتحقيق مقام الإحسان الذي هو التصوف الحقيقي.

وذات يوم وميرا ترتب للخروج مع سامر مثل كل يوم وكانت تتحدث مع والدها وهي متأهبة للخروج لإكمال برنامج زيارتهما إذ به يتألم ألماً شديداً مفاجئاً حتى وضع يده علي صدره من شدة الألم ومال بجسمه للأمام وهو يتأوه ويتألم بشدة وشُحب وجهة وتصبب عرقاً وأسند يداه علي كتف بنته ميرا، فأسرعت ميرا وهي تبكي وأجلسته علي الكرسي، وأرسلت لسامر فجاء مسرعاً، واتصل بطبيب الفندق الذي أتي واتصل بالإسعاف وتم عمل الإسعافات الأولية، وتم نقله للمستشفي وميرا في قلق وذهول وحزن شديد مما يحدث مع والدها.

ولما خرج الأطباء من عند عم شاهين تحدث سامر معهم في وجود ميرا وقالوا: إن الحالة بدأت تستقر وهو يحتاج لمزيد من الفحوصات والمتابعة كما يحتاج إلى قسطرة قلب تشخيصية لتحديد ما إن كان يحتاج لتركيب دعامات أم لا.

فسألهم سامر هل العودة والسفر إلى مصر غدا تمثل خطورة عليه فأخبروه بأن الأمر مستقر لكن لأبد من المتابعة القريبة واللازمة، فتم الاتفاق علي العودة إلى مصر وتم تغيير موعد الحجز بعد قضائهم عشرة أيام بهولندا وبالفعل تم السفر من هولندا إلى مصر.

ولما وصلوا إلى مطار القاهرة كانت مرام وزوجها مالك بانتظارهم لنقل عم شاهين للمستشفى وحجزه بها لعمل كل الفحوصات المطلوبة للاطمئنان عليه بعد رحلة السفر الطويلة، وعندما تم حجزه بالمستشفي طلب عم شاهين من سامر وميرا التعجيل بيوم الزفاف والترتيب لذلك بأسرع وقت فرفض كل من سامر وميرا بشدة هذا الطلب.

ميرا:

ماذا تقول يا أبي؟ كيف يكون ذلك؟

سامر:

لا يمكن يا عمي إلا بعد أن نطمئن عليك.

ولما أصر عم شاهين علي طلبه وهو منفعل جداً قال مالك زوج مرام مهدءاً له: لا بأس يا عم شاهين سنفعل كل ما تطلبه، وأشار إلى سامر وميرا بعدم الحديث أمامه حتى لا تعود إليه تلك الأزمة.

عم شاهين:

من الغد إن شاء الله يتم ترتيب كل شيء ليكون الزفاف يوم الخميس بعد غد.

فبكت ميرا بشدة وانتابها قلق وخوف علي حالة والدها كيف أنه طلب هذا الطلب بهذه السرعة وبماذا يشعر الآن وما حجم مشكلته الصحية حتى جعلته يطلب ذلك في أسرع وقت وكيف يتم الزفاف وهو بالمستشفى.

عم شاهين:

انتظري يا ميرا قال لها والدها ذلك عندما همت بالانصراف وهي تبكين أراك قلقة علي اطمئني يا حبيبتي لقد تحدثتُ مع الطبيب المعالج بصراحة عن حالتي الصحية فأخبرني أن الأمر ليس سيئاً، ويمكن تأجيله لبضعة أيام دون مشاكل هيا اذهبي معهم لترتيب أمر الزفاف ولا تقلقي.

وبالفعل حضر الطبيب وطمأن ميرا وسامر علي حالة عم شاهين الصحية وانفرجت أسارير كل من ميرا وسامر وخف القلق والتوتر بعض الشيء.

وبدأوا في تجهيزات الزفاف والاتصال بالمقربين فقط واستأذنت ميرا ودخلت الغرفة المجاورة لغرفة والدها وتوضأت وفرشت سجادة الصلاة التي طلبتها من الممرضة، وقامت لتصلي شكراً لله تعالي وظلت تصلي وقتاً طويلاً وهي تبكي متضرعة وتدعو الله أن يشفي والدها وأن يدبر لهم أمورهم.

وسُمع صوت بكائها وكانت في حال مع الله تعالى، وكان سامر ومالك يرتبان أمر الزفاف لأن الوقت ضيق جداً، وميرا لاتزال تصلي باكية خاشعة ترجو من الله تعالى أن يطمئن قلبها علي أبيها.

ولما عاد سامر إلى المستشفي اطمأن علي عم شاهين وقال له: إن الأمور تسير كما طلبت منا تماماً وإن شاء الله تكون صحتك بأحسن حال.

فشكره عم شاهين ودعا له بالخير، ثم سأل عن ميرا فأخبروه بأنها تصلي في الغرفة المجاورة فذهب إليها فوجدها تصلي فجلس حتى انتهت من صلاتها وانتبهت لوجوده.

سامر:

لا تبكي يا ميرا سنفرح جميعاً بشفاء عم شاهين وعودته سالماً لنا إن شاء الله.

ميرا:

قلبي لا يحتمل كل هذا القلق وتلك الأحداث المتتالية يا سامر.

فأخذها سامر من يديها ودخل معها لوالدها واطمأن معها علي صحته وكان والدها سعيد جداً بأن الزفاف سيتم قريباً، وقال لميرا: أبشري لقد صرح لي الطبيب بالخروج اليوم والعودة بعد أسبوع للمتابعة واستكمال الفحوصات وأعطاني علاجاً دوائياً خلال هذا الأسبوع وأنا أشعر بتحسن كبير الآن.

ميرا:

أرجوك يا أبي لا تُحمل نفسك أكثر من طاقتها وكن صريحا معي.

الوالد:

صدقيني يا حبيبتي هذا ما حدث من الطبيب دون إصرار مني ولو كان يوجد أدنى خطورة ما كان يسمح لي مطلقاً بالخروج فلا تقلقي يا حبيبتي.

وخرج عم شاهين مع سامر وبنته ميرا في طريقهم للبيت وكان مالك ومرام هناك لمتابعة ترتيب أمر حفل الزفاف أما ميرا فكان لا يزال لديها حيرة واضطراب وكيف تستعد لهذا الزفاف الذي طال انتظاره مع حبيبها وحلم عمرها سامر.

ولما كان يوم الزفاف ظهر الإرهاق والتعب عليها حتى تغيرت ملامح وجهها الجميل فبدا شاحباً مصفراً، ولم تعد قادرة علي تناول الطعام المعتاد بقدر كاف واستأذنت ودخلت غرفتها لتستريح لبعض الوقت.

وبدأ الناس في الحضور وبدأ عم شاهين يستقبل الناس ويرحب بهم وسأل سامر عنها فأخبرته مرام أنها ذهبت لتستعد ولم تكن تعلم أنها دخلت لتنام.

وكان سامر مشغول بها جداً ويشعر بما تشعر به فدخلت مرام لتستعجل ميرا فوجدتها نائمة فتركتها لبعض الوقت حتى تستريح،

وخرجت مرام وجلست مع الحاضرين، وسامر لا يهدأ له بال حتى أنه ترك الجميع وذهب إلى غرفة ميرا فطرق الباب ونادى عليها مراراً لكنها لم ترد عليه فطرق الباب بشدة فلم يجد رداً فنادى على مرام وقال لها : أين ميرا؟

مرام:

هي بالغرفة نائمة.

سامر:

لقد طرقتُ الباب بقوة لكنها لا ترد.

مرام:

لاتقلق يا عريس يبدو أنها متعبة سأذهب إليها لتستعد فالوقت ضيق.

ولما دخلت مرام غرفة ميرا وجدتها قد وقعت على الأرض وفي حالة إعياء شديدة، فصرخت ونادت علي سامر، فهرول ودخل الغرفة وحمل ميرا من على الأرض ووضعها علي السرير، وظل ينادى عليها وهو في ذهول شديد، ودخل عم شاهين الذي كان لا يصدق ما يحدث ونادى علي ميرا وهو يبكي بشدة، وكانت مرام قد طلبت طبيب بالعمارة الذي قام بعمل الإسعافات الأولية لكنها لا تستجيب وكان سامر قد طلب الإسعاف والتي أتت بسرعة لكن الطبيب قال لهم: لا داعي للإسعاف

(البقاء لله) لقد ماتت ميرا.

جلس أبوها مكانه مذهولاً وصرخت مرام بصوت عال، ونادت علي ميرا وعلي أمها، وبكى سامر بشدة وهو ينظر إليها نظرة تحمل كل معاني الحزن والأسى والحرقة والألم ودموعه تنهمر من عينيه في صمت رهيب، كما خيم الحزن علي الجميع في يوم الزفاف الذي انقلب عزاءاً وساد الصمت أرجاء المكان، وكان كل واحد من الحاضرين حزيناً مهموماً شارداً بفكره في ذلك الحدث الجلل والصدمة الكبيرة التي وقعت علي الجميع.

وانتهى اليوم بكل ما فيه من مرارة وحزن وألم وهم كبير، وفي آخر اليوم ذهب سامر لعم شاهين يجر قدميه بصعوبة، وحضنه وبكى بشدة كما بكى عم شاهين وربت علي كتفه وقال له: أنت ابني يا سامر لا تحزن يا ولدي لقد كانت ميرا تحبك حباً لم أري مثله من قبل.

سامر:

أين هي ميرا يا عمي؟ أين هي الآن؟ وبكي بكاءاً شديداً، ثم ذهب بهدوء إلى شقته ولم يتمالك نفسه حين وقف أمام لوحة ميرا وظل أمامها وقتاً طويلاً واستعاد كل الذكريات ودموعه تجري من عينيه بغزارة مستحضراً كل كلماتها وحديثها معه وجمال روحها وضحكاتها وعباراتها الجميلة،

ثم أغلق شقته على نفسه وقطع سلك التليفون حتى لا يتصل به أحد وعاد إلى ما كان عليه قبل ذلك ولم يذهب إلى عمله فترة وكانوا في الشركة يعلمون بما حدث له.

وبعد فترة طويلة عاد سامر إلى شركته من الباب الخلفي وأغلق عليه باب مكتبه وانكب على وجهة يبكي وقلبه ينزف دماً من الحزن على فراق ميرا وظل سامر هكذا فترة طويلة.

وذات يوم وهو نائم بشقته حزين كعادته إذ به يري ميرا بفستان الزفاف وكأنها حورية من فرط جمال جسمها وعيونها ووجهها وملامحها التي لا مثيل لها في الدنيا وكانت تضحك بصوت ندي عذب وتسير كالفراشة بين الزهور والورود في بستان جميل مليء بأجمل الثمار، ثم تقدمت نحو سامر فجففت دموعه ومسحت علي صدره بيديها النضرتين وكأنها أعادت إليه روحه التي سُلبت منه ثم تكلمت معه وأخبرته بأنها كما يراها في نعيم كبير وخير عميم لكنها حزينة جداً لحزنه.

فقالت له: إن ما يعكر علي الاستمتاع بصفو هذا الجمال يا سامر وتلك النعم هو شعوري بحزنك الشديد هذا فلا تقلق علي ولا تحزن وأنا معك دائما.

ووضعت يديها علي وجهة فابتسم لها سامر وضحك معها بصوت عال حتى استيقظ ولا تزال ابتسامته موجودة علي شفتيه، ونظر حوله يبحث عنها في الغرفة حتى انتبه لهذه الرؤية الجميلة التي أعادت إليه صفو حياته وانفرجت أساريره، وأصلح سلك التليفون واتصل علي عم شاهين وأخبره بما رآه في منامه، فسر عم شاهين بما سمعه من سامر وطلب منه أن يراه قريبا.

وتكررت تلك الرؤية مع سامر من وقت لآخر وأصبحت جزءاً من حياته وكانت ميرا تذكره بالست العجوز وأحفادها الصغار وخدمته لهم فتذكر سامر ما كان يفعله معها هي وأحفادها وأمهم المريضة وبدأ يعود لما كان يفعله معهم بهدوء دون أن يعلم أحد عن ذلك شيء،

واطمأن قلبه وعاش مع ذكرياته بعيداً عن ضجيج الناس وأسدل ستار الصمت علي حياته مرة أخرى مع ميرا وذكرياته معها

(خلف جدار الصمت).

الخاتمة

الحب سر عظيم وعجائبه كثيرة ولا تنتهي، فهو يحيى موات القلوب، ويغير الإنسان من حال إلى حال أفضل مغايرة تماماً للحال الذي كان عليه قبل أن يدخل الحب قلبه.

وقد وجدنا هذا المعني واضحاً جلياً في قصة الحب العجيبة التي جمعت بين قلبي ميرا وسامر وخروج شلالات من المشاعر والعواطف والأحاسيس بترتيب عجيب وتدبير من الله تعالي، حتى أصبح كل منهما شخصية مفعمة بالنشاط والحيوية وحب الناس والتصافي مع الأجناس كلها من حيوان وجماد ونبات، وبدا ذلك في تعامل كل منهما مع الكون من حوله فأدرك كل منهما أن القلب الخالي من الحب هو قلب غير حي، وعلما أن ذلك بداية لحب أعمق وأكبر، وأن هناك طريق للحب الحقيقي لأبد من سلوكه وتعلم منهجه من أربابه.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

د . محمد عبد السلام